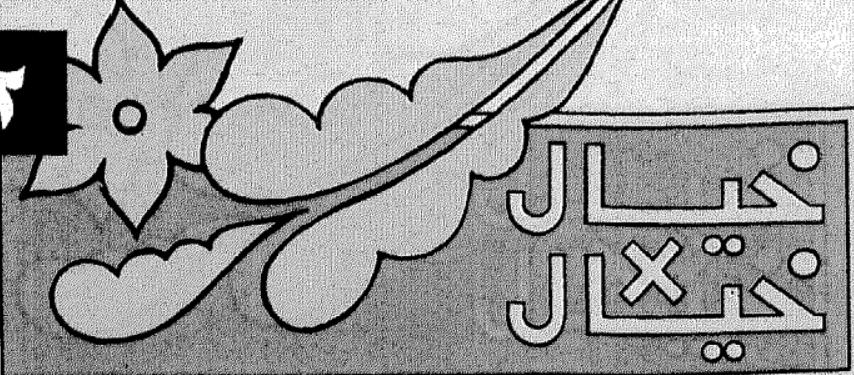


٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دار الشروق

سِمْوَدْ قَاسِمْ



جسر الأفواه

الطبعة الأولى  
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

جامعة جنوب الصحراء الليبية

© دار الشروق

استسراها محمد المعتشم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سبيويه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر  
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)  
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٢١٣  
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (١١)

خيال × خيال

# جمسر الأحوال

تأليف : محمود قاسم

دارالشروق



(١)

كان كل شيء مثيراً بين هاتين المدينتين المجاورتين ..

وقد بدأ هذا كل يوم في عناوين الصحف الرئيسية ، وفي الأخبار المنشورة في برامج الإذاعة والتليفزيون ومحطات الإعلام المفروضة في كل مدينة من المدينتين .

فمع كل صباح ، يكون أول شيء يطالع أعين أبناء مدينة «التفاحة البنفسجية» هو ما أنجزه النابغون فيها من أسباب التقدم في كافة الميادين التقنية ، والفنية ، والحياتية .

ولم يكن الأمر مختلفاً بالمرة في مدينة «البرقوق الطازج» عما يحدث في المدينة المجاورة ، فقد توصلوا إلى إبلاغ كل مواطن أولاً بأول عن طريق وحدات اتصال خاصة بما تم التوصل إليه من مخترعات حديثة وتطورات علمية وفنية للمواطنين .

وكان كل مواطن يمكنه معرفة الجديد الذي أنجزه العباقة من أبناء المدينة عن طريق ذلك الكمبيوتر الشخصي الذي يملكه كل مواطن ويحمله معه في جيده ..

فما إن يبدأ البث حتى يسمع المرء ، حامل الكمبيوتر ، صوتاً مميزاً ..

وفي لحظة معينة ، يمكن للمرء أن يجد كافة المواطنين في هذه المدينة مسكونين بالكمبيوتر إياه يضعونه على آذانهم وتبعدو ابتسامة رضاهم على وجوههم وهم يسمعون الأخبار الجميلة والمثيرة ..

وفي بعض الأحيان كان يجيئ خبر يثير الغيظ لأنباء مدينة «البروق الطازج» . عندما يعرفون أن جيرانهم من أبناء «التفاحة البنفسجية» قد توصلوا إلى اختراع شيءٍ جديد ، أكثر فائدة وإثارة .. ولا يهدأ لأحد بال إلا عندما تجيئ الأخبار الجديدة بعد فترة قصيرة ، بأن اختراعاً معدلاً قد تم التوصل إليه أخيراً من نفس الاختراع الذي نجح الجيران في تركيه ..

وكان الأمر شديد الإثارة !!

ولم يهدأ بال أى من الطرفين طيلة فترة طويلة من الزمان ، لمتابعة الجديد الذى توصل إليه كل مدينة . لدرجة أن الوزارة الوحيدة التى تم إنشاؤها هنا ، وهناك كانت هى وزارة « اعرف من فضلك» التى تتحصر مهمتها في إبلاغ الناس بأمور المخترعات الحديثة ، والتطورات في كافة المجالات التى توصل إليها أبناء المدينة من العباءقة ، وما أكثرهم ، وأحياناً ما توصل إليه الجيران .

ياله من أمر عجيب حقاً .. لكن إلى أى درجة ستصل المنافسة بين الطرفين ؟ وهل يمكن أن تندلع الحرب بين المدينتين كى تستولى

إحداها على ممتلكات الأخرى .

(٢)

الأمر الغريب حقاً أنه لم تكن هناك أية أسلحة من أي نوع ضمن الممتلكات التي يحوزها أبناء المدينة ، هنا أو هناك .

ولعل البعض من الشيوخ الذين تجاوزوا المائة عام وأكثر بخمسين تقريراً ، يتذكرون تلك المعاهدة الأبدية التي وقع عليها آخر الرؤساء والتي جاء في بنودها :

ـ لقد انتهى زمن الحروب . وانتهى زمن الزعامات والرئاسات ، والسياسة . وظهر عصر جديد ليست فيه سوى وزارة « اعرف من فضلك » ..

ومنذ ذلك الحين نسى الناس كل ما يتعلق بالمعاهدات ، وأصبحت الحرب كلمة في المطبوعات القديمة التي يحتفظ بها البعض في متحفه القديم ، وخللت القواميس الحديثة من كلمات كانت يوماً ما تقليدية منها : « السياسة » ، و«الحروب» و«الزيادة السكانية» و«التضيّخ» ، وأشياء كثيرة من هذا القبيل من الصعب أن نذكرها كلها حتى لاتنفصل علينا قلوبنا وأفكارنا ..  
ومع هذا فهناك مواجهة ساخنة لاتنتهي أبداً ..

وكان حرباً حقيقة مشتعلة بين الطرفين لانتطفئ أوارها ..  
حرباً غريبة تبدو كل يوم في شكل الحياة التي يحييها الناس في كل  
مدينة .. وخاصة في ميدان «الكرة الغامضة» .  
الكرة الغامضة .. يالها من جملة مثيرة ١١

إنها الرياضة الأكثر شعبية في المدينتين . رياضة لتحكمها قواعد  
معروفة ، ومع ذلك فهي محور الحديث الأول في المدينة . خاصة أن  
نتائج المباريات الخمس التي عُقدت في السنوات الأخيرة كانت  
مثيرة للاهتمام والتساؤل .

فحسب قواعد اللعبة ، فإن أحدهما لم يكسب . وكان التعادل  
هو النتيجة المعروفة سلفاً لكل مباراة ، لدرجة جعلت الناس  
يكادون يصابون بالجنون لشدة تعصبيهم من ناحية ، ولأن أبناء كل  
مدينة يريدون الانتصار على جيرانهم بأى ثمن ، ولو مرة واحدة  
فقط في العمر . ولذا فإن المباراة القادمة التي ستعقد بعد أيام قليلة  
قد أشعلت تعصباً الجماهير هنا وهناك ، لدرجة أنه لم يكن هناك  
حديث سوى عن المباراة القادمة .. وراح العلماء والمخترعون  
يقدمون أفكارهم من أجل الاستعداد لهذه المباراة ..

تأهّب الجميع بكل ما يملك من قوة ، فكانت الصحف  
والوسائل الإعلامية العديدة تقوم بدورها خير قيام . وكان أبناء كل



مدينة واثقين تماماً أنهم سيكونون المتصررين هذه المرة ، وأن التعادل كالخسارة ، لاطعم له ولا رائحة .

ووسط هذا الجو المتعصب المحموم ، كان هناك شيء مثير يدور في مدينة ليست بعيدة ، لا يعرف أحد عنها شيئاً تسمى «المدينة الزرقاء» .

(٣)

هتف زعيم المدينة على الشاشة الناطقة . وقد امتلأت كلماته بالعزيمة والإصرار :

ـ لابد أن نضع حدأً لهذا الصراع الذي لاطائل منه .

ـ من يتأمل وجه «الشبح الأزرق» في تلك اللحظة ، يرى ملامح غريبة تكسو وجهه الذي لا يمكن لأحد أن يراه أو يقترب منه . ورغم أن ذلك بدا على لهجته ، فإن أحداً لم يكن يتصور أنه يمكن أن يفكر جدياً هذه المرة فيها يدور بين هاتين المدينتين . خاصة أن المعاهدة التي تم توقيعها منذ أمد طويلاً قد أنهت الحروب ..

ـ وعلى الشاشة الناطقة جاءت كلماته :

ـ لقد حان الوقت الحاسم لإلغاء المعاهدة .. مفهوم؟ .

ـ كان كلامه مفهوماً بالطبع . لكنه صعب التصديق ، فقد بلغ

الوعى لدى أبناء المديتين درجة من الصعب أن تجعل إنساناً يفكر ولو للحظة واحدة أن المعاهدة أصبحت قديمة ، بل إن أبناء كل من «التفاحة البنفسجية» و«البرقوق الطازج» ، كانوا بالغى السعادة بتلك المنافسة الغريبة بينهما ، وكان الجميع يعرف بذلك سواء في «المدينة الزرقاء» أو في «مدينة الحكايات» .

ولذا بدت فكرة محاولة إفساد مابين المديتين باللغة الجنون في «المدينة الزرقاء» . . . وبدا الشر الذى اكتسى لهجة «الشبح الأزرق» شبيهًاً وعميقاً ، لا يمكن لأحد أن يتخيّل كيف ستكون نتائجه . . . وقف مساعدته إلى جانبه ، ولم يجرؤ أن يسأله كيف يفكّر .

ولكن الإجابة جاءت سريعة :

ـ أنا لست شريراً إلى حد كبير . . . ولكننى في بعض الأحيان مصاب بالأنانية . أحب أن آخذ من الناس بعضاً من الأشياء الغالية التي يمتلكونها .

وعلى الشاشة الناطقة ظهرت صحفته المجلجلة ، عالية كأنها تنطلق نحو آفاق بعيدة لم يمكن لملحوق أن يسمعها من قبل .

(٤)

وسرعان ما جاءت الأخبار المثيرة إلى «مدينة الحكايات» . .

ومن جديد اجتمع الرجال والنساء من أعمدة الحكايات العربية من أجل التشاور فيما جاءت به الأخبار . كان هناك أيضا سندباد ، وعنترة ، وسيف بن ذي يزن ، وعلاء الدين ، وعلى بابا ، ومحبوب الإسکاف وغيرهم ، من أجل التشاور فيما يمكن أن يصيب المديتين على يدي « الشبح الأزرق » .

وقف « حكيم المدينة » أمام رجاله وقال :

- لأسف الشديد فإن السرية محاطة تماما بما ينوى « الشبح الأزرق » أن يفعله هذه المرة . ولم تستطع أن توصل إلى أكثر من أن نيته الآن راحت إلى هناك .

تدخل « علاء الدين » وقال :

- المشكلة أننا لا نعرف نوع المأساة التي ستحدث ، حتى يمكن أن نرسل الرجل المناسب من أبناء « مدينة الحكايات » لكي يتدارك الأمر قبل حدوثه .

تدخلت « أم الغول » قائلة :

- وهل هناك حكاية بدون غموض ؟ فلننتظر ..

رد على بابا :

- لا . علينا ألا ننتظر .. بل علينا أن نصل أولا ..

هز « حكيم » رأسه وقال :

ـ هذا هو رأىي . لكن المشكلة هي ماذا نفعل . ونحن لانعرف  
ماذا سيأخذ من الأشياء الغالية من إحدى المديتتين .  
وراح الحاضرون يتکهنون بما يمكن للشبح الأزرق أن يفعله ،  
وخلال حوار طويل ومثير تخيل كل منهم ما يمكن أن يسلبه  
«الشبح الأزرق» لنفسه من هنا أو هناك من أجل إفساد مابين  
المديتتين ، خاصة أن كلاً منها تقترب من لحظة مثيرة باقتراب موعد  
المباراة التي يجب أن يتصر فيها أحد الطرفين منها كان السبب .

(٥)

كان صباح غريب وغير مألف بالمرة بالنسبة لمدينة «التفاحة  
البنفسجية» .

فعندما دقت الساعة السادسة صباحاً ، لم يستيقظ أبناء المدينة  
جميعهم على غير عادتهم ، من أجل أن يسمعوا الأخبار الجديدة  
من ناحية ، ومن أجل أن يقوموا بالاشتراك في طابور الجرى الذى  
ينخرج إليه الجميع منها كانت أعيارهم ، وذلك قبل أن يتوجه كل  
مواطن إلى عمله . أو أن يهارس مهام حياته .

لم يكن أحد في حاجة إلى أن يكون هناك منبه ليدق لإيقاظ  
الناس ، فقد تعودوا أن يفعلوا ذلك بدافع دوماً ، فهم أنفسهم قد

تحولوا إلى منبه يستيقظ من تلقاء نفسه في الساعة السادسة .

كان كل شيء منظماً في المدينة ، وبمواعيد إلا في صباح ذلك اليوم . فقد دقت الساعات ست دقات ولم يستيقظ أحد .. بل اعقارب الساعة عندما تحركت إلى السادسة وخمس دقائق فإن المدينة لم تتحول إ كالعادة إلى خلية من الحركة والحياة ، يرفع كل من هاته الشخصى كى يرسل تحية الصباح إلى جيرانه ، وأصدقائه وذلك قبل أن ينزل المواطنون إلى طوابير الجرى اليومية .

يا إلهى !! هاهى الساعة السادسة وخمس عشرة دقيقة وجديد .. لا .. بل هذا شيء جديد بالفعل .. فلم يسبق للمدن بأكملها أن تأخرت عن الاستيقاظ حتى مثل هذه اللحظة ..

وتحركت عقارب الساعة بطيئة كأنها لا تود أن تغادر مكانها وتجاوزت السادسة والنصف ، وكأن لاحية لم تناذيه في المدينة ثم تحركت العقارب أيضاً بنفس الإيقاع حتى وصلت السابعة ..

فعلا ، يا إلهى .. إنه الموعد الذى على جميع المواطنين أن يرك الحافلات الهوائية كى يصلوا فيه إلى أعمالهم . وهاهى الحافلات التى تحرك ذاتياً واقفة في أماكنها تنتظر ركابها . ثم هاهى تغ أبوابها ، حسب برجتها ، وتنطلق إلى طريقها المعهود .. لكن خالية تماماً من الركاب . وبعد عشرين ثانية كاملة انفتحت أبواب

الحافلات مرة أخرى ، كى تُفرغ حولتها الفارغة . وكان عليها أن تعود إلى مخازن الحافلات في أطراف المدينة إلى أن تعود ثانية في الساعة الواحدة ظهرا .

الواحدة ظهرا . إنه موعد عودة الموظفين ، والعاملين جميعهم إلى بيوتهم في تلك المدينة التي استطاعت أن تختصر الكثير من الزمن . لكن هامى الساعة الواحدة والنصف ظهرا . والمدينة لاتزال شبه خاوية تماما .

لم يكن هناك في شوارع المدينة في تلك اللحظة الغريبة سوى رجل عجوز يحمل خلاة بيضاء بدا وكأنه غريب تماما عن هذه المدينة ، وأن دهشة ما قد أصابته لما يجري فيها .

(٦)

ترى ماذا حدث في مدينة «التفاحة البنفسجية»؟ لا أحد يعرف على وجه التحديد ، خاصة في مدينة الحكايات التي كان صفوة أبنائها يرقبون ما يحدث هناك باهتمام شديد ، وترقب ، وحذر . فما حدث لا يمكن أن يكون له تفسير بالمرة . فهل هو نوم مفاجئ أصاب الناس؟ أم إنهم جميعا تناولوا شيئا ما أصابهم بالكسل . أو بالخمول؟ لا أحد يعرف ولا يوجد تفسير

حقيقى حول ما يحدث .

كانت المؤشرات تدل أن المدينة ليست أبداً في حالة نوم ، ولكنه شئ أقرب إلى الكسل . كسل غريب الشكل . لا يمكن أبداً تفسيره . فقد استيقظ البعض على فترات متلازمة من ساعات النهار . ولم يشعر أحدهم بالرغبة في مغادرة سريره ، بل نظر في ساعته بشئ من اللامبالاة . ولم يحس أبداً أنه قد تأخر عن الذهاب إلى العمل . أو أن شيئاً ما هاماً قد فاته .

كل ما انتاب الناس هو أنهم يودون أن يناموا مرة أخرى . وبالفعل ، فقد حاول البعض أن يغمض عينيه ، لكنه أحس أنه أخذ القسط الوافر من النوم . وأنه ليس في حاجة أن ينام ثانية . . . ومع ذلك لم تنتبهم الرغبة في مغادرة غرفهم ، وبدا الكسل في عيونهم ، وتبادلوا النظارات فيما بينهم ، كأنهم يتساءلون :  
ـ لماذا نتحرك من هنا ؟

لكن ، كان عليهم أن يتحركوا من أماكنهم ، وأن يغادروا أسرتهم ، فالساعة تجاوزت الواحدة . وعليهم على الأقل أن يسدوا بطونهم التي بدأت تشعر بالجوع . . فراح النساء تتجه إلى المطبخ ، وتتولى إعداد وجبة الطعام . كان الأمر غريباً ، ولكن أحداً لم يتتسأله لماذا يفعل ذلك . ولماذا تأخر في الاستيقاظ . أو

لماذا لم يذهب إلى العمل ؟

تبادلوا التحيات . ولكن أى تحيات كانت .. بدا الجو  
مشوشًا ، هل هي تهيبة الصباح ؟ أم تهيبة مابعد الظهر ؟  
فيجأة دقت أجهزة «الكومبيوتر الذاخلي» كى تعلن على المدينة  
الأنباء الجديدة .

من غرائب الأمور ، أنه لو لا أن الكثير من الأجهزة معلقة على  
بعض الجدران في البيوت ، ما انتابت أحدا الرغبة أن يقوم من  
مكابنه ليفتح الأجهزة . أو أن يسمع الجديد من الأخبار رغم أن  
سماع الأخبار من الأساسيات التي يهتم بها الناس في المدينة  
وبشكل منتظم .

جاء صوت يقول :

- أيها المواطنين . إليكم النبأ التالي ..

لم يهتم أحد أن يسمع ، بل راحوا يتناولون طعامهم دون أن  
تتتاب أحدهم الرغبة في الكلام . رغم أن الشخص الذى كان  
يتكلم في «الكومبيوتر الذاخلي» ، بدا وكأنه شخص مختلف عن  
المذيعين التقليديين الذين يعرفهم الناس . قال :

- إليكم البرنامج المثير .. عزوز المهزوز .. يسعدنى أن أقدم  
لكم نفسى ، أنا عزوز .. كان اسمى هو عزت فيها قبل . لكن

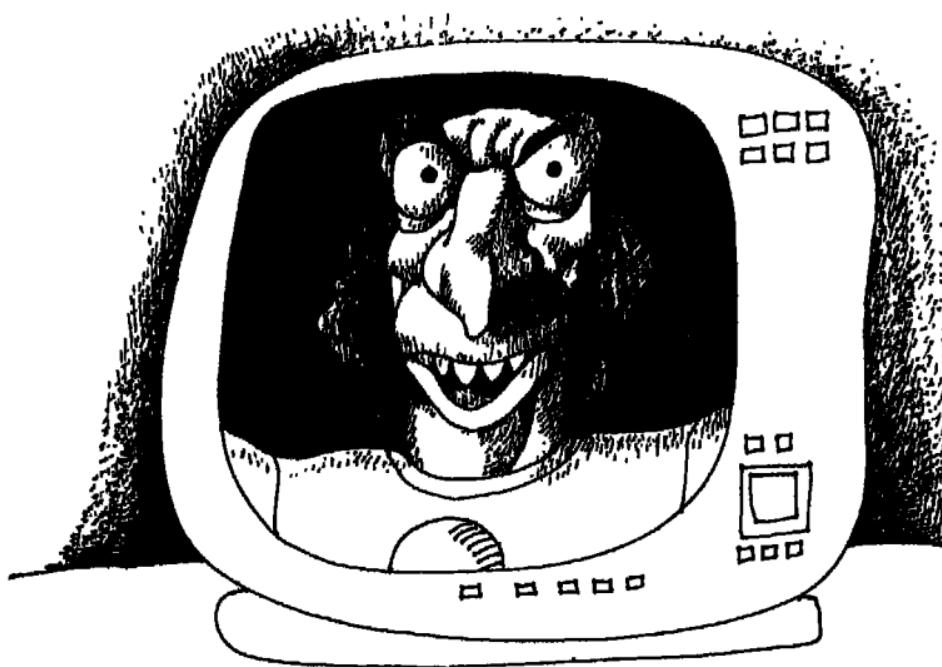
الزمن جار على . وأصبح اسمى « عزوز » . . ومكتوب على اليوم  
أن أبلغكم بخبر مثير . ففريق « مدينة البرقوق » أنهى استعداداته  
من أجل المباراة القادمة ، وقد يتوصل رجالنا للتعرف على خطتهم  
السرية للمباراة الخامسة . .

لو أن شخصاً ماراح يرقب ما يحدث في البيوت في تلك  
اللحظة ، لأصابته الدهشة من اللامبالاة المفاجئة التي أصابت  
الناس تجاه هذا الخبر ، فرغم أن الرجل الذي كان يتكلم في المذيع  
حاول أن يكون خفيف الظل ، وأن يتحدث إلى الناس بشكل غير  
تقليدي . فإن موضوع المباراة لم يشد انتباه الآذان ، كان أحدهم  
يتكلم إليهم بالمرة . بل إن البعض تبادلوا النظارات فيما بينهم  
وكانهم يتساءلون :

ـ ماذا يقول هذا الأبله ؟

واستمر الرجل يتكلم في « الكمبيوتر الإذاعي » إلى الناس .  
وكان من أهم مميزاته أن المستمعين يمكنهم رؤية شخصية المتكلم  
ـ لكن الكثيرين لم يودوا أن يحركوا أصابعهم ليدوسو على زر  
الشاشة لرؤية هذا الرجل الذي يتكلم بطريقة غريبة .

أما هؤلاء الذين داسوا بلا إرادة على زر الرؤية ، فقد شاهدوا  
رجالاً غريباً يتكلم إليهم ، كان يبدو عجوزاً ، ويرتدى ملابس غير



مؤلفة ، ويرسم على وجهه ابتسامة عريضة لا يعرف أحد هل هي  
مصنوعة أم طبيعية ؟

(٧)

كان على العجوز أن ينزل إلى شوارع المدينة الخاوية تماماً من  
أجل أن يعرف ماذا حدث بالضبط . بدت مدينة « التفاحه  
البنفسجية » لأن أبناءها قد أصيروا بحالة مفاجئة من الكسل الغير  
منتظر ، أو لأن حالة من التبلد الغير معهود الذي لا يعرف أحد  
مصدره ، انتابتهم ..

أما المدينة ، فبدت كأنها مسكونة بالأشباح . وهي التي كانت  
قبل ساعات وحتى منتصف ليلة البارحة تعج بالحركة والنشاط .  
وكان المبارأة الخامسة سوف تبدأ خلال ثوان ..

تحرك العجوز في الشوارع لعله يقابل أحداً يسأله عما يمرى ،  
وعما أصاب الناس . لكن هذا لم يحدث بالمرة .. لو لا أنه رأى  
بعض أبناء المدينة يطلون من الشرفات ، أو يتحركون خلف زجاج  
نوافذ بعض البيوت ، لتصور فعلاً أن أبناء المدينة هجروها جميعاً أو  
انتقلوا إلى رحمة الله تعالى .  
فجأة ، رأه .. فتنهد ..

إنه أول شخص يمشي تقريراً في الشوارع . اقترب منه ، وهتف ،  
وعلى شفتيه ابتسامة :

- صباح الخير .. لكن أين .. ؟

لم يكمل سؤاله ، فقد راح الرجل يشوح له بيديه ، كأنه يخبره أن  
يتركه في حاله . وقف العجوز أمام الرجل ، ورفع يديه كأنه الحاوي  
الذى ينوى أن يقوم ببعض الألعاب :

- أنا عزوز .. عزوز المهزوز ..

توقف الرجل وكأنه يسأله : وماذا يعني .. ؟  
إلا أن العجوز قال :

- يبدو أن اليوم عيد النوم القومى ..

ثم ضحك ، وأكمل : لا .. يبدو أنه يوم الكسل السنوى ..  
نظر إليه الرجل في لامبالاة حقيقة ، وحاول أن يمشي بخطاه  
المباتطة وكأنه لا يعرف لنفسه الطريق . هنا سأله العجوز :

- هل تسمح أن تخبرنى .. أين تذهب هذا اليوم .. ؟

نظر إليه الرجل بنفس النظرة كأنه يسأله : وما شانك ؟ أو كأنه  
يطلب منه أن يدعه في حاله . ثم تحرك على غير هدى . وهو  
لا يعرف إلى أين يذهب ولا أين الطريق . أما العجوز فقد وقف  
محتاً ، وهو يردد :

ـ الموضوع جد خطير. .

(٨)

ـ وأعلنت حالة الطوارىء في «مدينة الحكايات» . .  
والتف صفوة أبطال الحكايات يتشارون فيما يمكن أن يكون  
قد حدث بالفعل في مدينة «التفاحة البنفسجية» . قال حكيم  
المدينة :

ـ فعلاً . الموضوع خطير ، فهناك شيء ثمين تمت سرقته من  
المدينة .

ـ كانت كل المؤشرات تشير أن هناك شيئاً جسرياً حدث .  
فالسكان لا يعانون من متاعب جسمانية ، وليسوا بمرضى ، وهم  
يتحركون ، ويأكلون ولكن في تناول شديد . أو في إطار من  
الكسل الذي لا يمكن تفسيره . . فرغم أنهم يسمعون نشرات  
الأخبار ، فإن ردود أفعالهم لما يسمعون لا تذكر بالمرة ، وكأن لا شيء  
يهمهم .

ـ قال جحا :

ـ إنه مرض اللامبالاة . .

ـ بدت كلماته غريبة فعلاً . وساد الصمت في قاعة الاجتماعات

في «مدينة الحكايات». لقد نطق «جحا» بكلمات تحتاج إلى عشرات التفسيرات، فهل هناك مرض يسمى اللامبالاة؟... وما هي أعراضه. وكيف يكون العلاج منه؟

تساءل الحكيم:

ـ وماذا تعرف يا جحا عن مرض اللامبالاة؟..

رد «جحا» في ثقة:

ـ الناس لا تهتم بما يحدث حولها. لا بالغد. ولا بالأمس. يؤمنون أن عليهم ألا يتدخلوا فيما لا يعنيهم، وأيضاً فيما يعنيهم..

ردت «أم الغولة»:

ـ هذا يعني أن الناس لا تنظر أبعد من أقدامها..

ـ لمعت أشياء ما في عيني «حكيم المدينة». وقال.

ـ إنه إذن لشيء خطير.. ومن الخطورة الشديدة، أن يضيع ذلك الشيء..

ـ ولعنة العيون بدورها تسأله عن الشيء الذي ضاع في المدينة.

(٩)

ـ إنهم لا يودون أن يفعلوا شيئاً، ولا أن يتحركوا. إنهم يأكلون،

ويشربون ، ويتحركون في حدود ضيقـة في المنازل ، لاتنتاب أحدهـم الرغبة في عمل شـيء ، حتى الخروج إلى الحدائق ، أو سماع الأنبـاء ، أو الخروج إلى العمل . لقد أخذـوا قسطاً من النـوم . لكنـهم يرغـبون أن ينامـوا من جـديد . ولوـلا أن أجـسامـهم متـيقـظة لفعلـوا ذلكـ حـقا . لكنـ إنـها الـلامـبالـاة . . .

هل هو مـرضـ حـقا كـما قالـ «جـحا» في مدـيـنةـ الحـكاـيـات . . . رـبـاـ لكنـ كـيفـ يـجيـئـ هـذاـ المـرضـ . . .

كانـ عـلـىـ العـجـوزـ أـنـ يـجـرـىـ كـافـةـ تـحـريـاتـهـ لـيـعـرـفـ مـاـذاـ حـدـثـ ، كانـ عـلـىـهـ أـنـ يـتـشـمـمـ طـعـمـ المـيـاهـ ، وـأـنـ يـسـتـنـشـقـ الـهـوـاءـ لـيـعـرـفـ مـاـذاـ هـنـاكـ بـالـضـبـطـ ، وـرـغـمـ أـنـ لـاحـظـ أـنـ لـلـمـيـاهـ طـعـمـ مـغـاـيـرـاـ ، فـإـنـهـ كـثـفـ منـ مـحاـولـاتـ التـوـصـلـ إـلـىـ حـقـائـقـ الـأـشـيـاءـ . . .

رأـيـ النـاسـ وـحـاـولـ أـنـ يـحـاـورـهـمـ . بلـ وـطـرـقـ أـبـوـابـ الـبـيـوتـ ، وـسـعـىـ لـقـابـلـةـ أـرـبـابـ الـأـسـرـ وـنـاقـشـهـمـ . وـاـكـتـشـفـ كـأـنـهـ يـرـقـدـونـ تـحـثـ مـثـاثـ الـأـطـنـانـ مـنـ الـجـلـيدـ ، الـجـلـيدـ الـنـفـسـيـ الـبـارـدـ الـذـىـ لـاـيمـكـنـ لـلـمـرـءـ مـنـ خـلـالـهـ أـنـ يـفـعـلـ شـيـئـاـ بـالـمـرـةـ . حتىـ مـجـرـدـ التـفـكـيرـ ، وـرـبـاـ الرـغـبـةـ فـيـ الـحـدـيـثـ ، حتىـ النـسـاءـ فـقـدـنـ الرـغـبـةـ فـيـ الـشـرـثـةـ فـيـ الـهـاتـفـ .

الـرـغـبـةـ ، الرـغـبـةـ . . .

لقد اختفت الرغبة في أشياء كثيرة لدى الناس ..

تساءل العجوز : ماذا يعني اختفاء الرغبة لدى البشر ؟ إن هذا يعني الكثير، فالرغبة من ضمن الغرائز البشرية الهامة ، بل هي علامة من علامات هذه الغرائز، ودليل على وجودها وحسب قوة الرغبة تكون قوة الغريزى ..

لكن ، ماهى الغريزة الأكثـر رغبة في الإنسان ، والتى تلازمـه طيلة نهاره وليلـه ، ولا يـستطيع إشباعـها أبدا طـيلة حـياتـه ، وـذلك خـلافـا لـبقـية الغـرـائزـ الـأـخـرى ؟ .

فالغرائز إما ملموسة كغرiziaة الأكل والأمومة ، وأما غير ملموسة مثل الطموح ..

- يا إلهى .. لا تقل هذا .. الطموح .. إياك أن تقول إنه قد اختفى من المدينة ..

هـكـذا تسـاءـلـ العـجـوزـ ، وـقـدـ بـدـاـ الرـعـبـ عـلـىـ وـجـهـهـ وـهـوـ لاـيـصـدـقـ ، فـهـلـ يـعـقـلـ أـنـ يـخـتـفـىـ الطـموـحـ مـنـ مـدـيـنـةـ بـالـغـةـ التـطـورـ مـثـلـ هـذـهـ المـدـيـنـةـ ؟

إـنـهـ أـسـتـلـةـ عـدـيـدـةـ بـلـ إـجـابـاتـ ..

( ١٠ )

لم يكن على العجوز أن يستسلم للدهشة والنوم لما أصاب

المدينة . وذلك بعد أن اختفى الطموح تماما . في فترة بالغة الحساسية من تاريخ المدينة ، فليس هناك سوى بضعة أيام قليلة على المباراة الخامسة بين فريق هذه المدينة وفريق المدينة المجاورة وعلى كل طرف أن يؤيد فريقه سواء في مرانه أو في أثناء المباراة .

لكن ، هل يمكن أن تقام مباراة في مثل هذه الظروف ؟ فالناس أصحابها تبدل غريب ، وحالة غريبة من اللامبالاة لأشفاء منها ، وكما رد «جحا» فإن هذا مرض ، فإن أحدا لا يعرف كيفية علاج هذا المرض بالمرة . فهذا هي المرة الأولى التي تصاب فيها مدينة بأكملها بمثل هذا الداء العجيب .

وإذا كان «جحا» قد تكهن بأن اللامبالاة مرض ، فإن العجوز قد توصل إلى أن الطموح اختفى من المدينة . أخذ يجرى تحرياته من أجل معرفة كيف يمكن استعادة هذا الطموح الضائع ، فراح يتكلم إلى الناس وحاول استشارةهم ، لكن بلا فائدة .

لم يكن أمامه سوى أن يسعى لمقابلة أعضاء الفريق القومي الذي سيواجه به تلك المعركة ، أقصد المباراة الخامسة مع فريق مدينة «البرقوق الطازج» . وتوجه إلى المعسكر المغلق الذي لا يمكن لأحد أن يخترقه منها كانت قوته ، وهناك كانت المفاجأة .

فقد كان الباب مفتوحا . ولم يعترض أحد على دخوله . وفي



داخل المعسكر بدا المنظر غريباً حقاً . فاللاعبون إما نائم . أو يتناولون الطعام . أو يتحركون في أرض الملعب في تناقل ، بل إن بعضهم غادر المكان عائداً إلى بيته بعد أن رد : ..

لأشيء لهم ..

هتف العجوز : يا إلهي .. إنهم هكذا أما منسحبون ، أو ..  
مغلوبون ..

اقرب من أحد اللاعبين ، وقال وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة صفراء : ..

ـ أهلاً يابطل .. سوف نغلبهم بالضربة القاضية ..  
نظر إليه اللاعب . وقال ببرود :

ـ وماذا يفيد أن نكسب أو نخسر ..

(11)

لم تكن هناك إجابة شافية لما يحدث .. لكن معلومات سرية باللغة الأهمية تسربت في اللحظات الأخيرة إلى «مدينة الحكايات» ، تفيد أن الطموح المسروق من مدينة «التفاحة البنفسجية» موضوع الآن في صندوق مصنوع من الرصاص الثقيل ، وعليه قفل صدئ

قديم لايمكن لأحد أن يفتحه ، وأنه سوف يتم نقله خلال ساعات إلى مقبرة الرغبات ، التي تقع في مكان بعيد لا يعرفه أحد ، ولايمكن لإنسان أن يصل إليه ..

وجاء في التقرير السرى أيضاً أن الشبح الأزرق كان وراء كل هذه الخطط الشريرة التي حدثت أخيراً ، ولذا فعلى المدينة أن تتدخل هذه المرة بأى ثمن ، وبكل مالديها من رجال ..  
لكن ، وحسب قوانين «مدينة الحكايات» فإن هناك بطلان من أبطال الحكايات ذهب هذه المرة في مهمة عسيرة من أجل فهم اللغز ، ومحاولة حله . وقد استطاع أن يتوصل بالفعل أن الطموح اختفى .

ولأنه لايمحى التدخل في المغامرات والحكايات الجديدة من ناحية الإدارة العليا ، فإنه وربما للمرة الأولى ، استثنى «الحكيم» قراره . بأن أرسل من يبلغ للعجز أن عليه أن يطارد فيلقاً كاملاً يحرس الصندوق الرصاصى الذى يختفى بداخله الطموح ، وأنه الآن في طريقه إلى مكان مجهول لا يعرفه أحد .

في تلك اللحظات ، كان العجوز قد عزم على أن يبحث عن الطموح بأى ثمن وألا يفعل ذلك وحده . بل أن يختار مجموعة من أبناء المدينة ، يصحبونه في رحلة مثيرة من أجل البحث عن

الطموح الضائع بأى ثمن ، وأن يعودوه إلى مكانه ، قبل بداية المباراة بوقت مناسب ، حتى لا تخسر المدينة مثل هذه الفرصة النادرة ..

حاول استشارة أعضاء الفريق من أجل أن يلتفتوا إلى أهمية البحث عن ذلك الشيء الضائع . لكنه فشل ، سعى إلى إقناع البعض منهم لكن بدا كأن آذانهم قد سُدت تماما ، وكأنهم لم يعودوا يفكرون لا في غدهم ، ولا حتى في اللحظة التالية ، تحت شعار «وماذا يهم؟» ..

ورغم هذا لم يفقد العجوز الأمل .. وراح يواصل تحرياته السريعة من أجل أن يجد مخرجا .. إلى أن توصل إلى مفاجأة بدت له كأنها مفتاح مناسب لبداية حل تلك المشكلة ..

سرعان ما وصلت الأنباء المثيرة إلى مدينة «البرقوق الطازج» وراح الإذاعات ووسائل الإعلام الالكترونية تبث الخبر المؤسف عليه ، بأن أبواب مدينة «التفاحة البنفسجية» قد أغلقت وأن شيئاً ما أصاب الناس هناك ، ولم يعودوا يرغبون في إقامة المباراة الخامسة .

في البداية جاءت التعليقات تعبّر عن فرحة أبناء المدينة . فلاشك أن انسحاب مدينة «التفاحة البنفسجية» يعني فوزهم

الساحق . لكن سرعان ما أحس الناس أن الانتصار الحقيقي ليس بانسحاب الطرف الآخر، ولكن بالفوز عليه، حتى ولو بأقل الأهداف ..

ثم عرف الناس حقيقة ماحدث ، وأن حالة من الخمول المفاجئ أصابت أبناء مدينة «التفاحة البنفسجية» لايمكن تفسير أسبابها ولايمكن معرفة كيفية مواجهتها أو علاجها . وسرعان ما انعقد مجلس المدينة ، وهو مجلس شرف ، لم يجتمع أبداً منذ مائة وخمسين عاماً تقريباً ، أو بالأحرى منذ توقيع معايدة السلام الأبدية بين المدينتين .

وما إن بدأ الاجتماع حتى ساد المدينة بأكملها الضوء الأحمر الذي يطالب بأن يسود المدينة المدوء التام والتربق ، فللاشك أن هناك حالة طوارئ لم يشهدها أبناء «البرقوق الطازج» من قبل ، وأحس الناس بالارتياح عندما انطفأ الضوء الأحمر . وراحوا يفتتحون أجهزة التلفاز الالكترونية ليسمعوا نشرة الأخبار .

وجاءت الأخبار تفيد بأن البلاد تمر بحالة حرجة للغاية : - أهيا السادة المواطنين ، تشهد بلادنا مؤامرة باللغة الخطورة في هذه اللحظات الأخيرة ، وذلك بعد أن أصاب الإحباط مدينة «التفاحة البنفسجية» . وهرب الطموج إلى حيث لانعرف . وهذا

رجل غامض جاء من مكان مجهول؟ .

لكن لماذا جاء حقاً . . .؟

كان عليه أن يبحث عن مخرج بأى ثمن .

ولذا حاول أن يوقظ رغبات الناس في أن يقوموا بعمل أى شيء مفيد، لكن لماذا يبحث الناس عن شيء مفيد، وقد هرب منهم الطموح واختفى بلا رجعة. لذا لم يتمسّ أحد لعمل أى شيء بالمرة. خاصة الاشتراك في المبارزة الخامسة. فقد بدءوا يرون أنه لافائدة من أى شيء خاصّة أن كميات الطعام والشراب متوفّرة في المدينة بكميات كبيرة لاتدفع أحداً للتكلّب عليها، وذلك في شكل كبسولات التغذية الموجودة في كل مكان .

حاول العجوز أن يفعل شيئاً ما هنا أو هناك . . لكنه فقد الأمل. ولأن الأخبار جاءته من «مدينة الحكايات» بأن صندوق الرصاص الذي يختفي فيه الطموح في طريقه إلى مقبرته النهائية خلف جسر الأهواز . . فقد كان عامل الوقت هاماً للغاية . .

ولذا قرر أن يذهب لمقابلة مجلس إدارة مدينة «البرقوق الطازج» من أجل أن يسأّلهم التعاون معه في مهمته المقدّسة . .

وكان الاجتماع مثيراً وقصيراً . .

وعقب الاجتماع كان عليه أن يلتقي بأربعة من الرفاق الذين

عليهم أن يذهبوا معه في رحلة الأهواز . فوق جسر لم يجرؤ أحد أن يعبره من قبل . لا في التاريخ ، ولا في أى من الحكايات المعروفة ، أو غير المعروفة .  
إنه « جسر الأهواز » ..

( ١٣ )

ترى من يكون هؤلاء الرفاق الأربعة الذين سيرافقون العجوز في رحلته المهولة ؟ ..

استطاع العجوز أن يتوصل أن اثنين ، من أعضاء فريق الكرة التابع لمدينة « التفاحة البنفسجية » ، كانوا في تلك الفترة التي أصبيت فيها المدينة بالنكبة يتدرسان خارج المدينة . وأنهما الآن في طريق العودة دون أن يعرفا ماذا حدث هناك .

ولذا ، كان على العجوز أن يقابل هذين اللاعبين بأى ثمن ، وأن يمنع عودتهما إلى المدينة ، لذا أخرج من ملاهه بساطه الإلكتروني العجيب الذى يمكنه الطيران به في أى وقت وتحت أى ظروف ، وانطلق به يلحق بالسيارة الأسفنجية التى تنطلق في الجو بسرعة ألف كيلومتر في الساعة ..

بدأ كأن هناك سباقا محموما بين « السيارة الأسفنجية » وبين



البساط الالكتروني ، وشاهد اللاعبان شيئاً غريباً يحاول أن يسد عليهما الطريق الجوى ، وكأنه يشير إلى أن هناك شيئاً ما يستدعي وقوفها بكل سرعة .

أطلق العجوز إشارة حمراء من مكانه فوق البساط الالكتروني مما أثار قلق الشابين ، فقال أحدهما للأخر وهو لايزال يقود سيارته الاسفنجية بسرعتها المألهفة :

ـ إنه شخص عجيب الذي يركب بساطاً طائراً . يذكرني بحكايات ألف ليلة وليلة .

قال زميله :

ـ توقف ، انه يشير لنا بإشارة حمراء .

رد الأول . واسمه ماجد : ومن أدرك أنه ليس كميناً . أنت تعرف أننا يجب أن نصل إلى المدينة بأقصى سرعة كي نعرف ماذا حدث .

هز زميله سمير رأسه ، وهو يدرك تماماً مدى القلق الذي أصابهما في الساعات الأخيرة ، فقد اكتشفا فجأة وهما في منطقة التدريب النائية أن الكمبيوتر الاذاعي لم يعد يستقبل أى أخبار ، وأن الاتصال انقطع تماماً .

وسرعان ما لعبت الأفكار بهما ، فحاولا الاتصال بكل الوسائل المتقدمة التي يمتلكانها ، لكن بلا فائدة .

وعندما أحسا بأن هناك شيئاً ما خطراً، قررا العودة إلى مدينتها. بكل سرعة، ولكن في الجو التقى بهذا البساط العجيب الطائر الذي يرسل إشارات الإنذار. ومن هنا زاد إحساسهما بأن هناك خطراً شديداً.

(١٤)

وعرف ماجد وسمير أطراف الحقيقة على لسان العجوز الذي قال :

ـ هناك أشياء كثيرة تضييع .. ويمكن إعادتها .. ومنها الطموح .. إنه الآن في طريقه إلى «مقبرة الرغبات» كى يدفن هناك إلى الأبد ..

آثار محدث للمدينة صدمة قوية لولديها ماجد وسمير . فأخذوا يهلوثان ، ويلقيان الاتهامات على مدينة «البرقق الطازج» . قال سمير :

ـ طبعاً . إنهم السبب . سوف نعلن الحرب عليهم .. رد العجوز : زمن الحروب انتهى ..

عاود سمير القول : ولو .. سيعود ثانية ..

بدت كلماته الأخيرة خالية ضعيفة ، فقد تذكر أنهم لا يملكون

أى مؤهلات الآن للحرب ، وتصور أن مدينة «البرقوق الطازج» فعلت ذلك لأنهم وافقون أن نتيجة المباراة ستكون لصالح مدينة «التفاحة البنفسجية» . أو أنهم يعدون العدة للاستيلاء على المدينة بعد أن ينقضوا المعاهدة .

قال العجوز :

ـ أنتـا من الشـباب فـي مـقـتـلـ العـمـر .. وـيـمـلـؤـكـما الـانـدـفـاع ..  
عـلـيـنـا أـنـنـأـكـدـ منـ كـافـةـ الـأـمـوـرـ منـ أـطـرـافـهـاـ وـأـصـحـابـ الشـأـنـ ..  
ـ تـسـأـلـ مـاجـدـ :ـ مـاـذـاـ تـقـصـدـ ؟ـ

قال العجوز : هل توافقـانـ عـلـىـ الـذـهـابـ معـىـ لـاستـعـادـةـ  
الـصـنـدـوقـ ؟ـ

ردـ مـاجـدـ :ـ إـذـاـ كـانـ مـاـتـقـولـهـ حـقـيـقـةـ فـ ..ـ ..ـ ..ـ  
وـتـوـقـفـ فـجـأـةـ عـنـ الـكـلـامـ .ـ فـقـدـ كـانـ العـجـوزـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ بـعـيـنـيـنـ  
كـلـهـاـ قـوـةـ وـشـيـابـ .ـ وـكـأـنـهـ يـقـولـ إـنـ صـاحـبـ مـشـلـ هـذـهـ النـظـرـةـ  
لـاـيمـكـنـ أـبـدـأـ أـنـ يـقـولـ سـوـىـ كـلـ مـاـهـوـ صـادـقـ ،ـ ..ـ تـمـتـ مـاجـدـ :ـ  
مـعـذـرـةـ سـوـفـ أـذـهـبـ مـعـكـ مـهـمـاـ كـانـ الثـمـنـ ..ـ

ـ تـمـتـ سـمـيرـ بـدـورـهـ :

ـ وـأـنـاـ أـيـضـاـ ..ـ لـكـنـ نـحـنـ مـجـرـدـ لـاعـبـينـ ..ـ لـمـ نـأـلـفـ  
الـخـاطـرـاتـ ..ـ

قال العجوز :

ـ الحاجة أم الاختراع .. الآن .. هيا بنا .. سنتذهب إلى مدينة  
ـ «البرقوق الطازج» ..

( ١٥ )

وبعد الاجتماع الطارئ مع أعضاء مجلس إدارة مدينة «البرقوق الطازج» ، كان على العجوز أن يلتقي بكل من عائشة ومصطفى . وذلك باعتبار أن عائشة هي المواطن الأعلى طموحاً في المدينة ، وذلك حسب تقدير أجهزة القياس الحساسة في الفترة الأخيرة ، فهي لا توقف عن التفكير في أشياء كثيرة مفيدة لمدينتها ، وأيضاً لشخصها .

أما مصطفى فهو المغامر الأول في المدينة ، يمكن أن يصوب أي سهم فيصيب الهدف بدقة ، باعتباره لاعب الرماح الأول في المدينة . كما أنه خفيف الحركة والظل ، ولذا فإن أول جملة نطق بها عندما التقى بياج وسمير هي :

ـ اسمع يا زميل . هناك شئ يغيرنى منذ فترة طويلة .. لماذا أطلقا على مدينتكم «التفاحة البنفسجية» ؟  
وضحك الجميع : ماجد وسمير وعائشة والعجوز للطريقة

التي أطلق بها مصطفى السؤال . وسرعان ماجاءت الإجابة من ماجد :

ـ السبب بسيط لأنه لا يوجد لدينا تفاح بنفسجى . مثلما أن برقوقكم لم يكن طازجاً أبداً .

ثم بدأ الاجتماع الأول لمناقشة أمور الرحلة . ولم يخف أحد من المجموعة أن نتائج الرحلة غير مطمئنة . ليس فقط لأن خطارها ، ولكن لأن الأربعة لا يعرفون قط فنون القتال والخروب ، فهذه أشياء قد نسيها أبناء المدينة منذ أمد طويل .. ولكن أيضاً لأن الأشخاص الغامضين الذين خطفوا «الطموح» في طريقهم الآن إلى «مقبرة الرغبات» ، وسوف يصلون إليها حتى قبلهم بفترة طويلة . وينتفي الطموح للابد .

تمت العجوز :

ـ هناك طريقان لاثالث لها إلى «مقبرة الرغبات» . الطريق الدائري . وهو طويل يمكن اختراقه في ثلاثة أيام على الأقل منها كانت سرعة من يخترقه .

ثم تنهى وقال بهدوء شديد :

ـ أما الطريق الآخر فهو «جسر الأهوال» .

أطلقت عائشة صرخة :

ـ ماذا . . . « جسر الأهواز » . . . ؟

بدت كأنها خائفة ، ومستشارة ، فهى كطموحة من الطراز الأول ، ترغب في رؤية هذا الجسر ، ولكنها في نفس الوقت تدرك من اسمه ، أن هناك مخاطر بشعة تنتظر من يسلكه . . . أكمل .

ـ لاتنسوا أننا في مغامرة . وسوف نستعيد شيئاً ثميناً . ولكل

شيء ثمنه .

هنا تدخل سمير :

ـ أنا مستعد أن أقدم حياتى مقابل مستقبل مدينتى .

وقال ماجد :

ـ وأنا أيضاً . . .

( ١٦ )

وكان على الرحلة أن تبدأ فوق « جسر الأهواز » . . . إنه ذلك الجسر البعيد ، الذى لم يصل إليه أحد من قبل ، وبالتالي فإن أحداً لم يعبره ، ولا يعرف مخلوق ماذا يمكن أن يختبئ هناك . ولا ما هو طول هذا الجسر ، ولا ماهى الكائنات التى تعيش فوقه أو عند أطرافه ؟ . لكنه الطريق الوحيد لاستعادة الطموح المفقود .

كان أول شيء يعرفه العجوز أن البساط الإلكتروني لاينفع أبداً في هذه الرحلة . وأنه لابد أن يطأ المغامرون أرض الجسر بأقدامهم ، أو يركبوا شيئاً يلامس الجسر . ولذا فإن عليه أن يغير خططه ، وأن يعد خططاً مختلفة وأن يركب أشياء زاحفة .

هتف العجوز :

- ليس علينا أن نبدأ من هنا .

بدأ الخمسة رحلتهم في أطراف تلك الهمبة الخضراء التي تطل مباشرة على سهل فسيح خال تماماً من الحياة ، وعلى مرمى البصر لا يمكن لأحد أن يرى أى شيء يؤكد أن جسراً في هذا المكان .

قالت عائشة :

- ليس هناك جسر ..

رد العجوز :

- لا تدع شيئاً لست واثقة فيه ..

راحت عائشة تدقق في الأفق ، لعلها ترى شيئاً يؤكد لها أن هناك بوادر ظهور جسر على الأقل ، لكنها لم تر شيئاً . تمنت :

- هذه أول مرة أحس أننا في حاجة لعدسات لاصقة إلكترونية .

تدخل سمير قائلًا :

ـ وأنا . لا أرى شيئاً بالمرة ..

ـ ثم قال مصطفى :

ـ إنه بالتأكيد جسر وهمي .

ـ لم يهتم العجوز بالردد عليهم ، بل انحنى أرضاً ، وراح يفتح  
ـ مخلاه ، كي يخرج الزحافة الطائشة . الشيء الوحيد الذي يمكن أن  
ـ يستعمله في بداية هذه الرحلة المثيرة ..

( ١٧ )

ـ بدت زحافة غريبة الشكل ..

ـ إنها أقرب في شكلها إلى رقيقة ، خفيفة للغاية ، من رقائق  
ـ النايلون ، لا يمكن لأحد أن يصدق أنها يمكن أن تحمل خمسة  
ـ أشخاص وتحرك بهم .

ـ قال العجوز : هيا . سوف تنطلق الآن ..

ـ لم يحاول أحد من الأربعة أن يتساءل عنها يحدث . لقد بدأ كل  
ـ منهم كأنه أسلم مصيره ، لشيء غامض مجهول ، عليه أن ينطلق  
ـ نحوه ، دون أي سؤال ، ودون أن يبحث عن إجابة ، خاصة  
ـ عائشة ، صاحبة أعلى درجات القياس في الطموح .  
ـ ما إن داس الجميع فوق أرض الزحافة النايلون الملساء ، حتى

أحسوا كأنهم ينزلقون . قال العجوز :  
- تمسكوا .. هذا هو أهم شيء !! .

ووقف في متعددة الزحافات ، بينما وقف الأربع على ورائه بقليل ،  
فجأة رفع يده اليمنى إلى أعلى . وانطلق صوته مليئا بالحيوية  
والشباب . وقال :  
- توكلنا على الله .

وفجأة ، ودون سابق إنذار ، انطلقت الزحافة من أعلى التل  
كأنها تنزلق فوق جبل من الجليد ، أو كأن هناك انهيارا جليديا فعلا  
يحملهم إلى مصير مجهول .. صرخت عائشة :  
- سوف أهلك .. الحقونى ..

لكن أحدا لم يلحظها ، فقد أحس كل منهم أنه في حاجة إلى  
من أن ينقذه . لكن سرعان ما أدركوا أن هذا الخوف ، وتلك  
الصيحات لا أساس لها ، فقد تحركت الزحافة كأنها تعرف طريقها  
بشكل جيد .  
قال العجوز :

- الآن .. دخلنا منطقة جاذبية الجسر ..  
لم يكن هناك أحد يمكنه أن يستفسر عما قاله العجوز من أنهم  
دخلوا منطقة « جاذبية الجسر » ، لكن كان من الواضح أن هذه



الجاذبية باللغة القوة والشدة ، وأن لا شيء يمكن أن يقاومها ، أو  
أن يقف في تيارها .

( ١٨ )

بدا التيار شديداً للغاية ، كأنه السيل مضاعفاً ، وانطلقت  
الزحافة في طريقها ، لا تعرف بالضبط إلى أين مستقرها . وتسمرت  
أعين ركابها من الخوف ، حين اندفعت نحو مرتفع جبلي اعترضهم  
فجأة . خيل لهم سوف ينشقون في ثوان معدودات إلى آلاف  
القطع البشرية ، صرخت عائشة :

- انظروا .. سوف تتحطم ضلوعنا .

و قبل أن تنطق بحرف التاء في جملتها ، كانت الزحافة قد  
انحرفت طريقها ، ومرت من أسفل المرتفع الجبلي من خلال فتحة  
ضيقة لم يلحظها أحد منهم من شدة الخوف . والذى لم ينته . فقد  
راحت الزحافة تمر من أسفل دهليز جبلي ملئ بالتنوعات يخيل لمن  
يمر من أسفله أن رأسه يمكن أن يصطدم بسهولة بها . وأنه يمكن  
أن يضيع في لحظة .

هتف ماجد فجأة :

- رائع .. أحس كأنني في مدينة الملائكة ..

ورغم أجواء الرعب التى سيطرت عليهم ، فإنهم جميعاً انتبهوا

إلى حقيقة مقاله ماجد . وسرعان ما تحول الخوف إلى بهجة ،  
وعمت القلوب فرحة ، وراح ركاب الزحافة يتطلعون إلى الصخور  
البارزة أسفل الممر الجبلي ، ومن أعلى رؤوسهم ، وكأنهم بالفعل في  
إحدى مغارات مدينة الملاهي الموجودة في مدinetهم ، والتي هي  
مصدر بهجة دائمة لهم حينما يزورونها في إجازات آخر الأسبوع ..  
لم يعلق العجوز بشئ ..

لعله كان يعرف أن هناك مفاجآت أخرى في انتظارهم ،  
فالزحافة تنطلق بسرعة هائلة . ولذا سرعان ما اقتربت من النفق  
الجبلي ، وانطلقت إلى سهل واسع ، ما إن رأه الركاب حتى صاح  
مصطفى :

انظروا .. إنه الجسر !!

وبذا المشهد مهيبا للغاية . فالجسر موجود هناك ، يبدو  
طويلا ، كأن لا بداية له ولا نهاية ، إنه غريب الشكل ، لا يمكن  
لعين أن تصل إلى نهايته ، ولا يمكن لامرئ أن يصفه لهم مهما كانت  
بلغاته ، إنه لا يزال بعيدا ، والزحافة تنطلق بكل قوتها ..

نظر العجوز إلى ساعة يده وقال :

ـ هيا يا شباب ، يجب أن نلحق بالجسر قبل أن يغلق أمامنا  
أبوابه ..

إنه يعرف أن الوقت شيء ثمين . وأن الأخطار التي قد تفاجئه ستعمل على تعطيله بكل ثمن . وفعلاً، فجأة برب أحد هذه الأخطار..

(١٩)

فجأة، انشقت في الأرض فجوة أخذت تسع أمامهم ..  
وبدت كأنها سوف تبتلع مئات الألوف من مثل هذه الزحافة في ثوان قليلة . وارتسمت علامات الدهشة على الوجوه خاصة عائشة التي صاحت :

ـ الحقوا . سوف نسقط في الأعماق ..

وبكل سرعة اندفعت الزحافة نحو مصيرها ، كأنها قد تأهلت للسقوط في الأعماق ، ولن تخرج قط من هناك . وراح الأصدقاء الأربع يغمضون أعينهم ، وهم يرتلون بعض آيات القرآن الكريم . والأدعية . وهم ينطلقون في الفراغ . لم يحس أحد منهم بالندم أنه فعل ذلك . بل راحوا يتهماسكون بأيديهم . وكأنهم سيودعون الحياة معاً . وأن هذا وحده شرف جميل ، لأنه من أجل هدف نبيل .

وفجأة سقطت الزحافة فوق الأرض . لكنها لم تتحطم . سرعان

ما فتحوا أعينهم وراحوا ينظرون حولهم . صاح مصطفى :

- انظروا . . فتحن لم نسقط في الهوة . .

تمتم ماجد : فعلا . ترى ماذا حدث ؟

لم يكن هناك وقت للإجابة . فأمام الزحافة أيضا هوة أرضية أخرى سوف تسقط فيها بعد أن نجحت في القفز بقوه الدفع الذاتية ، وتمكنت من اجتياز الخطير وسقطت على الجانب الآخر من الفجوة ، وأصبح باب الجسر أكثر قربا . .

من جديد ، انفتحت هوة أخرى واسعة ، بل أكثر اتساعا من الأولى ، واستعدت كلها اتسعت لأن تبتلع الزحافة ، لكن قوة الدفع التي اكتسبتها من القفزة الهائلة الأولى راحت تدفع بالزحافة كى تنطلق في الهواء من جديد ، وتصل إلى الناحية الأخرى .

ومرة أخرى ظهرت هوة ثالثة . وسمع الرفاق صوتاً مرعباً يخرج من أسفلها وهم يقفزون أعلىها ، لم يعرف أحد ماذا هناك بالضبط . هل هو تنين البحيرة الطويل الرأس الذي يمكن أن يلقط بسانه أى شيء أمامه ويبتلعه . أم إن مد البحيرة ارتفع وكشف عن مابالأعماق من أسماك متوجهة شرهة لللحم الأدمى ، وهاهى تجذ ضالتها أخيرا .

بدت الزحافة وكأنها تعرف طريقها . فوصلت من جديد إلى

الطرف الآخر من الماء التي تزداد اتساعا .. ولكن هناك فجوة أخرى .. بل فجوات .. حتى يخيل للمرء أنها لن تنتهي ..

صاحب سمير :

ـ قلوبنا تهتز بقوة !!

قال ماجد : أنت قلبك يهتز، أما أنا فأذهب كثيرا إلى مدينة الملاهي ..

التفت العجوز إلى الرفاق الأربعة، وبدا كأن ملامحه قد تغيرت إلى حد ما وقال :

ـ لسنا في نزهة يا شباب .. نحن في أشد الرجالات مخاطرة ..  
بدا كأن العجوز قد حاول أن يكشف لهم حقيقة الأمر . وأنهم ليسوا أبدا في مدينة الملاهي . وأن كل ما يحدث أمامهم هو من الأخطار الحقيقة . وأنه لو لا الزحافة المنطلقة بهذه السرعة الرهيبة ، وكأنها صاروخ فضائي ، لسقطوا جميعا ، وإلى الأبد ، في حفرة عميقة من إحدى هذه الحفر ..

وانطلقت الزحافة ، وراحت تقترب من الجسر ، لكن ياله من أمر غريب ، فكلما أحسوا أنهم يقتربون من بوابة الجسر ، فإنه يبتعد أكثر كأنه لا يود أبدا أن يصلوا إليه ..

وفعلا ، فما إن عبروا منطقة الفجوات القاتلة حتى دخلوا منطقة الأسياخ النارية ..

فجأة بربز سيخ ملتهب من الأرض ، وراح طرفه الحاد يلمس طرف الزحافة واستطاع أن يثقبها ، وكاد أن يلمس عائشة التي صرخت قائلة :

ـ الحقوا . شيء ما يحرقنى ..

التفت العجوز إلى قدمي عائشة وتنبه إلى الخطير الجديد . كان العجوز قابعا في مكانه في مقدمة الزحافة الطائشة ، كأنه قائد طائرة في مقصورته ، يوجه طائرته حسبما يريد ، فإذا به يكتشف فجأة أن حريقا شب في هيكلها ، صاح موجها كلامه إلى عائشة :

ـ لاتخافي ، فالزحافة تسيطر على نفسها ..

وبالفعل فسرعان ما استطاعت الزحافة أن تصلح الثقب الواسع الذي أحدثه السيخ النارى ، وكان عليها أن تواجه مجموعة جديدة من الأسياخ بربز فجأة وبأطوال مختلفة من الأرض . إنها أسياخ نارية كفيلة أن تحرق أي شيء تلمسه ، وأن تخترق كافة الأجسام التي تقترب منها . ولكن لأن الزحافة الطائشة مصنوعة كى تصلح نفسها بنفسها كلما حدث بها عطب . فإنها راحت تنطلق بين صعود وهبوط . وبقوة غريبة . بينما انطلقت منها رشاشات راحت تطلق أبخرتها فوق أطراف الأسياخ . تحاول أن تلطف من درجات حرارتها . لكن الخطير لا يزال قائما ، فأطراف

الأسياخ تحولت فجأة إلى مديات حادة وكأنها سيف تجيد فن القتال .

كان العجوز يعرف تماماً أن الزحافة غير مدربة بالمرة لمواجهة مثل هذا الموقف ، فالأسياخ حادة للغاية . وهاهى تنطلق متزق كل شيء أمامها . ١٥ الأعلى ،

( ٢٠ )

فجأة برب من مكانه ..

وقف في طرف الزحافة ودبّت فيه روح الشباب ، وزأى الأصدقاء شخصاً يبدو كأنه يتفسّر ويتمدد ، وقد خلع عنه ثوب العجوز وشيفوهخته . وأمسك بيده سيفاً خارقاً عريضاً النصل راح يلمع كأنها تتعكس منه كافة أشعة الدنيا ..

هتفت عائشة :

ـ يا إلهي .. من هذا الرجل .. ؟

أما المفاجأة فقد اكتملت وبررت كل من مصطفى وسمير وماجد . وهم يشاهدون « الفارس النادر » وقد قفز في الهواء شاهراً سيفه وكأنه ذاًهباً إلى مجهول لا يعرف أحد مداه . كان الخوف قد استبد بالشباب خاصة في اللحظة الأخيرة ، وراح كل منهم يتلو

الأدبية ويطلق الشهادة ، وهو يعرف تماماً أن النهاية دنت بلا أى شك .

ولكن ما إن ظهر « الفارس النادر » حتى دبت الثقة في القلوب بعض الشيء ، أحس كل منهم أنه أمام بطل لا يوجد سوى في حواديت الأساطير والخيال . وأنه يواجه الأخطار دافعاً مصيره أمامه . وقد استعان بالله وبقوته وبشجاعته .

انطلق « الفارس النادر » في الفراغ . وتعلق فجأة في الهواء بواسطة حبل متيّن ربطه بالزحافة التي ثبتت فجأة فوق أحد الأسياخ ولم تشاً أن تتحرك ، وبكل مهارة راح يدور حوله ويبازر كافة الأسياخ التي تحوطه ..

بدت المبارزة غريبة للغاية ، فالأسياخ تتحرك ذات اليمين وذات اليسار كأنها تحيد كافة فنون المبارزة .. لم يستطع « الفارس النادر » أن يحصي عدد الأسياخ التي عليه أن يبارزها . لكنه بدا قوياً ، وماهراً ، انطلق السيف في كل مكان حوله يضرب الأسياخ التي تحولت إلى سيوف باترة ، فاستطاع بكل سهولة أن يكسر بعضها ولكن العدد كان كبيراً للغاية .

كان « الفارس النادر » يعرف جيداً أن المسألة تتعلق بالوقت . وأنه إذا لم يستطع أن يجتاز بوابة الجسر في الوقت المناسب ، فإنه لن

يفعل ذلك قط ، لأنها لن تنفتح قبل شهر على الأقل ، يكون الطموح خلاها قد تم دفعه إلى الأبد في «مقبرة الرغبات» . لذا كان عليه أن يتخلص من هذا الخطر المتمثل في الأسياخ الباردة بأى ثمن .

(٤١)

فجأة ، وهو معلق في الهواء بواسطة الحبل انتصب جسمه ، وراح يوجه سيفه إلى أعلى . فتحول إلى مرأة عاكسة ضخمة مما جعل السيوف (الأسياخ) تتدحرج فيها بينها . ثم بدأت في مبارزة بعضها البعض ..

وكان على «الفارس النادر» أن يعود بسرعة إلى الزحافة ، وأن ينطلق بها إلى طريق «بوابة الجسر» مستغلاً تلك المعركة الغريبة التي نشبت بين السيوف الحادة ..

وانطلقت الزحافة .. وبسرعة هائلة ..

في تلك اللحظات ، كانت البوابة قد بدأت في التحرك لتغلق على نفسها ، ولدة شهر كامل ، وبدت الشوانى كأنها أثمن شيء في الوجود .

وبينما كانت البوابة تتحرك لتغلق على جسرها الغامض . وبينما



الزحافة تندفع بكل مالديها من قوة ، وبينها السيوف تبارز بعضها .  
كان هناك شخص أصابه غيظ شديد لما يحدث ، راح يهتف من  
مكانه وكأنه يجادل البوابة :

— اسرعى . وانغلقى أمامهم . . فهذه الاسياخ اللعينة قد  
خبيت آمالى .

بدت كلماته على الشاشة تعبر عن توسل شخص ضعيف يوجه  
كلامه إلى باب الجسر ، لم يكن هذا الشخص سوى «الشبح  
الأزرق» في برج المراقبة بالمدينة الزرقاء ، يعرف أن جنوده في  
طريقهم إلى الطريق الدائري من أجل أن يدفعوا صندوق الطموح  
في المقبرة الأبدية . . وأن «الفارس النادر» يسعى بكل ثمن أن  
يقطع عليهم الطريق ، وأن يصل إلى هناك قبلهم . لم يكن أمامه  
 سوى أن ينغلق بباب الجسر فتروح الفرصة للأبد أمام «الفارس  
النادر» في استعادة الطموح . وإقامة المبارزة الخامسة .

بدأ كل شيء مثيرا ، تخفق له القلوب . وتتفجر بالرغبة  
والطموح في تحقيق الهدف ، انطلقت عائشة صاحبة أعلى درجات  
في الطموح تصرخ ، موجهة كلامها للزحافة :

— اخترقى البوابة أيتها الزحافة المجنونة وإلا . .

وبدا كأن الزحافة تعرف طريقها . . وأنها ليست في حاجة إلى

الزحافة تندفع بكل مالديها من قوة ، وبينها السيف تبارز بعضها .  
كان هناك شخص أصابه غيظ شديد لما يحدث ، راح يهتف من  
مكانه وكأنه يجادل البوابة :  
— اسرعى . وانغلقى أسامهم .. فهذه الاسياخ اللعينة قد  
خيت آمالى .

بدت كلماته على الشاشة تعبر عن توسل شخص ضعيف يوجه  
كلامه إلى باب الجسر ، لم يكن هذا الشخص سوى « الشبح  
الأزرق » في برج المراقبة بالمدينة الزرقاء ، يعرف أن جنوده في  
طريقهم إلى الطريق الدائري من أجل أن يدفنوا صندوق الطموح  
في المقبرة الأبدية .. وأن « الفارس النادر » يسعى بكل ثمن أن  
يقطع عليهم الطريق ، وأن يصل إلى هناك قبلهم . لم يكن أمامه  
 سوى أن ينغلق باب الجسر فتروح الفرصة للأبد أمام « الفارس  
النادر » في استعادة الطموح . وإقامة المبارزة الخامسة .

بدأ كل شيء مثيرا ، تتحقق له القلوب . وتنفجر بالرغبة  
والطموح في تحقيق الهدف ، انطلقت عائشة صاحبة أعلى درجات  
في الطموح تصرخ ، موجهة كلامها للزحافة :

— اخترقى البوابة أيتها الزحافة المجنونة وإلا ..  
وبدأ كأن الزحافة تعرف طريقها .. وأنها ليست في حاجة إلى

أن ينادى أحد أن تنطلق بكل سرعة ، أما الشباب الثلاثة فراحوا يهمهمون بالاستهجان كأنهم يطردون الخوف عن قلوبهم ، وهم يقتربون من البوابة في اللحظة الأخيرة ..  
وأخيرا انغلقت البوابة تماما ..

( ٤٤ )

لكن الزحافة انطلقت في آخر لحظة ، وعبرت الفتاحة الضيقة التي سرعان ماسدت تماما عما أمامها ووراءها ..  
ووجد الشباب الأربعه أنفسهم ينطلقون في صرخات حادة تعب عن الفرح العميق رغم أن البوابة انغلقت عليهم ، راحوا يهتئون أنفسهم بعيورهم بوابة « جسر الأهواز ». وقد امتلاءت وجوههم بالفرحة الغامرة .. قال سمير :  
ـ الآن نحن فوق أرض الجسر .. وسيعود كل شيء إلى مكانه .  
كان يتحدث كأنه استطاع أن يمسك الطموح بيديه ، ويستعد لإنرجاعه إلى مكانه مرة أخرى . لكن فجأة ساذ المكان صمت ، وراحوا ينظرون حولهم . باحثين عن الفارس الذي استطاع أن يتغلب على السيوف الحادة بذكائه وقوته .. لم يروا أمامهم سوى العجوز ممسكا بمخلاة وينظر إليهم ، ويقول :

ـ انتهى دور الزحافة .. علينا أن ننطلق على أقدامنا ..

هنا تسأله ماجد :

ـ أين ذهب ذلك الفارس ؟

ابتسم العجوز ، ثم أدار وجهه ووضع خلاة على كتفه ، وقال :

ـ لا وقت للأسئلة .. نحن الآن في بداية الجسر والطريق

طويل .. علينا أن نتدارس أمور رحلتنا ..

سألت عائشة :

ـ هل الطريق طويلاً ؟

قال وهو يمشي أمامهم كأنه يدعوهم أن يتبعوه :

ـ الأمر يتوقف على ماسيقابلنا من أخطار ..

لمعت عيناً مصطفى وهو يسأل : هل ستقابلنا أخطار أخرى ؟

رد العجوز :

ـ قلت إن الأمر يتوقف ..

تمتم سمير : نحن لانفهم شيئاً ..

قال العجوز : في رحلة الحياة .. عليك ألا تفهم بعض الأشياء .. إلا بعد أن تتعلماها ..

وبدا الأمر غريباً .. وراحوا يمشون خلفه ، ولم يكونوا يعرفون أنهم في تلك اللحظات كانوا قد دخلوا دائرة المارد النائم .. بل إنهم كانوا يمشون بالفعل فوق جسده الهمامي « الخفي » ..

( ٢٣ )

راحوا يمشون على أقدامهم لمسافة طويلة فوق أشياء غريبة الأشكال تبدو أحياناً كأنها مجموعة من التسوّعات البلاستيكية المتعددة الأشكال . وفي أحياناً أخرى تبدو كأنها قطع من البلاستيك الذي يمكن رؤية الوجوه واضحة منعكسة في داخلها ، وقد تغيرت أشكال الوجوه .

كان من المثير للدهشة حقاً أنهم كانوا يمشون على أقدامهم فوق أرض الجسر الغريبة ، بدا الجسر عريضاً لا يمكن بلوغ جانبيه ، ومع ذلك يبدو هذان الجانبان كأنهما قريباً للغایة . فالعجز يعرف أن عامل الزمن بالغ الأهمية ، وأنهم رغم نجاحهم في الوصول إلى أول الجسر ، لكنه يعرف أيضاً أنه طويلاً لانهاية له ومن ثم بالأخطر .

سؤال سمير : لماذا لا نركب زلاقات ؟

بدا كأنه يوجه سؤاله إلى العجوز الذي أشار إلى مخلاه ، وقال : - معى هنا ماتريدون من زلاقات . لكن علينا في البداية أن

نستكشف الجسر ، ونعرف ما هي طبيعة تركيبته . . .

بدا كلامه سهلاً ، وعاقلاً للغاية ، فلاشك أنهم الآن في بداية الرحلة وعليهم أن يعرفوا ماذا هناك قبل أن ينطلقوا فوق الجسر .

فالسرعة في بعض الأحيان شديدة الضرر وعلى المرء أن يتأنى خاصة في البداية ، حتى يمكنه أن ينطلق وهو مطمئن إلى ما هو مقبل عليه.

لم يكونوا يعرفون أن هذه التسوّعات البلاستيكية المتعددة الأشكال التي يدوسون عليها هي جزء من جسم المارد النائم الذي عاش حياته كلها نائماً في تلك البقعة من الجسر ، وأنه مصاب بداء النوم ، لأنّه مطمئن تماماً أن أحداً لا يمكنه الوصول إلى منطقته التي يعتبرها ملكته الخاصة .

كان حيواناً غريباً الشكل هلامياً في بعض مناطقه ، وجامداً في البعض الآخر ، ولأنه لم يحدث قط أن هب من نومه أو أن وقف على قدميه فإن أحداً لم يسبق أن رأه قبلًا . ولذا فإنه لا أحد يعرف كيف يكون شكله . لا أين رأسه . ولا أين توجد أطرافه . فهو متعدد الأشكال . ومتنوع المناطق الحسية . حيث أنه حساس للغاية في بعض الأماكن من جسده . وفي البعض الآخر يبدو كأنه فقد الشعور تماماً .

لذا فعندما قرر الرفاق أن يستخدموا الزلاقات . لم يكونوا يعرفون بذلك أنهم سوف يوقفون المارد النائم .

(٢٤)

لأنه لا يمكن لكاين ما أن يكون حيا ، إلا من خلال ما واهبه الله من مناطق إحساس .. يحس بها وجود الأشياء ، ولذا فإن المارد النائم مع مرور الأزمنة الطويلة ، فقد الحس في الكثير من مناطق جسده .. ولم يعد من المهم أن تكون مثل هذه المناطق بذات أهمية في أن تكون حساسة أو أن تكون ذات حسية ما . ومع الوقت انعدمت أهميتها .

ولذا ، فعندما سار الرفاق الأربع في صحبة العجوز فوق جسد المارد النائم ، كانوا يتصورون أنهم يمشون فوق مناطق وعرة ، وسهلة من الجسر ، ولم يكن لأحد منهم أن يتصور أن تلك التtures البلاستيكية ليست سوى جزء من جسم مارد ضخم ينام في هدوء شديد .

ساروا مسافة طويلة على حذر متبعين تماما لما يمكن أن يقابلهم ، أو أن يظهر فجأة شيء من أي مكان يمكن أن يهاجمهم بسرعة ويتخلص منهم . لذا قالت عائشة موجهة كلامها إلى العجوز :

ـ لو افترض أن ظهر لنا شيء علينا مقاتلته ، فماذا نفعل ؟  
التفت العجوز إليها وقال وهو يبدو بأنه قد تنبه لشيء هام فاته أن يحسمه :

- آه .. فعلا .. خذوا ..

وبسرعة مديدة داير داخل المخلة ، وأخرج سيف المواجهة الصغيرة ، وكرر نفس العبارة :

- السيف أ Nigel الأسلحة لمواجهة الخصم .

أمسك سمير سيفه ، وبسخرية شديدة قال :

- العصر يتطور .. ولم يعد السيف مناسبا لمواجهة مثل هذه الأخطار .

فجأة شرد سمير ، وتذكر تلك المعركة الغريبة التي دارت بين الفارس الذي انشق عن العجوز ، ولذا سرعان ما غير هجته وهو يقول :

- لكتنى لا أجيد المبارزة ..

قال العجوز :

- انظر جيدا إلى سيفك ، وستعرف كيف تستعمله ..

وكانت المفاجأة حين نظر إلى سيفه ، بل حين نظر الجميع إلى السيف التي بين أيديهم ..

( ٢٥ )

فجأة تحولت السيف بين أيديهم إلى مسدسات يمكنها أن تطلق أشعة ، ثم تحولت إلى مدفع صغير يمكن إطلاقها عند

اللزوم . . قبل أن تصبح سيوفاً مرة أخرى ، قال العجوز :  
— لا يهم ماذا تملك من سلاح ، المهم أن تجيد استعماله عند  
اللزوم . .

شم راح يشرح لهم الأسلوب الأمثل لمواجهة المخاطر ، مهما  
كانت ، فالماء لا يستخدم أى سلاح إلا عند الضرورة القصوى ، وفي  
حالة الدفاع عن النفس أو لتخليص إنسان من شر حقيقى يحيط به  
وطلب منهم عدم إشهار السيف أو الأسلحة البى فى أيديهم إلا  
عند اللزوم . .

ثم قال :

— الآن . . جاء وقت الزلاقات .

ومدى كل منهم بزلاقته ، ولأنهم رياضيون ماهرون ويتمتعون  
برشاقة وخفة وليةفة بدنية ، كان عليهم أن ينطلقوا في طريقهم  
بواسطة الزلاقات ، يرتفعون مع التوءات الكبيرة ثم يبدون كأنهم  
يطيرون لمسافات قبل أن يهبطوا مرة أخرى فوق الأرض .

كان المنظر جيلاً ومثيراً للغاية ، وبذا الجمیع كأنهم في  
استعراض للمهارات ، بل إن كلاً من عائشة ومصطفى أحس أنه  
مندوب من مدينة « البرقوق الطازج » ، وأن عليهم أن يسبقاً لأول  
مرة كلاً من ماجد وسمير بصفتهم المواطنين اللذين يمثلان مدينة  
« التفاحة البنفسجية » .

وبدا السباق مثيرا ، لكنه متكافئ . حيث انطلق الأربعه خلف العجوز الذى تصلىبت قدماه فوق الزلاقة وهى تندفع به كأنه شاب في الخامسة والعشرين من العمر لا أكثر . كان كلها سبق فريق الآخر لحق به زميله وسبقه ، حتى اصطدم ماجد فجأة ببقعة قرمزية فكاد أن يسقط فوق الأرض .

حاول أن يتماسك وهو ينظر إلى البقعة القرمزية . لاحظ أن هناك شيئا غير عادى يتحرك في داخلها ، وكأنها عين لشخص فدقق فيه جيدا . هز رأسه كأنه يوشك أن يغمى عليه ، أو كأنه واقع تحت تأثير تنويم مغناطيسى ، صاح ينادى زملاءه لكن صوته بدا خائراً ضعيفاً للغاية . فلم يسمعه أحد . حاول أن يتحرك من مكانه ، لكن الزلاقة بدت كأنها تحجرت في مكانها ولا تود أن تتحرك .

التفت حوله ، فرأى زملاءه قد ابتعدوا كثيرا عنه . وأدرك أنه وقع في مأزق ، لكنه لا يعرف بالضبط ما هو نوع الخطر القادم إليه .

( ٢٦ )

تحركت البقعة القرمزية . وبدت كأنها تنمو وتكبر ثم انطلق منها صوت أjection يثير الخوف الشديد في القلوب :



ـ لقد أيقظت النائم ، فالوليل لك !!

نسى أنه يملك ، سيفا وأنه يستطيع أن يخرجه في أى وقت  
لما وجهة تلك البقعة القرمزية التي انطلق منها الصوت ، لم يعرف  
ماذا يفعل لكن فجأة اختفت البقعة ، وكأنها لم تكن في مكانها ،  
التفت حوله . رأى زملاءه يشيرون إليه من بعيد أن يلحق بهم ،  
لكنه ما يزال واقعا تحت تأثير الدهشة .

أحس الرفاق أن هناك شيئا ما ، فانطلقوا عائدين نحوه ، سأله  
العجز عندهما بلغ مكانه :

ـ ماذا حدث ؟

وأشار ماجد بعينين زائغتين إلى المكان ، وقال بحرف مهزوّة :

ـ شيء ما كان هنا . ١١

نظروا في اهتمام شديد إلى المكان الذي يشير إليه ، لم يكن هناك  
ما يؤكّد وجود أي شيء حولهم ، هتف ماجد :

ـ إنها بقعة قرمزية ١١

صاحت عائشة مازحة : عندما سنعود سنعرضك على الطيب  
الكمبيوتر المتخصص في زوغان العيون .

صاحب مصطفى :

ـ هذا إن كنا سنعود ..

فجأة تلاعبت الأفكار برأس عائشة ، أحسست ، بها تملّكه من غريزة الفضول والطموح ، أن ماجدا لا يمكن أن يكون كاذبا أو متوهما لحقيقة جعلته في هذا الحال من الحيرة ، فقالت :

ـ لعل هناك شيئاً ما في الأرض !

هتف سمير :

ـ لتنظر ..

وراح سمير ينحني نحو الأرض وهو يدقق في البقعة التي أشار إليها ماجد . لم ير شيئاً يمكن أن يؤكّد مقاله زميله ، فرد :

ـ ليس هناك سوى شيء يشبه حبة رمل قرمذية اللون .

كان يتكلّم في سخرية لاذعة ، محاولاً إضفاء البهجة على زملائه ، ودون أن يتتبّه ، أحس بشيء يصفعه بشدة ويقذف به بعيداً لمسافة أمتار ..

( ٢٧ )

صاحب العجوز :

ـ تراجعوا إلى الوراء ..

وبكل سرعة انطلق من الأرض ومن حبة الرمل القرمزية شيء ضخم ، راح يعلو في الجو كأنه شجرة أخذت تتقدّم وتتفرّع أمام عيونهم وراح ظلّها الرهيب يظلّلهم ، احسوا أن الأخطار قد بدأت

تمو وأن على «المارد النادر» أن ينسليخ من العجوز كلما نمت  
الشجرة القرمزية التي بدأت التهديدات تنطلق منها :

ـ الويل لكم . لقد أيقظتم «المارد النائم» !!

لم يكن أحد يدرى أن تلك الحبة الضئيلة ، التي تصاهى حبة  
الرمل القرمزية اللون ، هى أقوى مراكز الحس عند «المارد النائم»  
وأنه عندما داس ماجد عليها بزلاقته جعل المارد يتذهب للقيام من  
نومه الطويل .

وعلى وجه السرعة . برزت من الشجرة القرمزية أفرع حادة بدت  
كأنها تستعد للمواجهة ، إلا أنها لم تتحرك بعد ، بينما وقف «الفارس  
النادر» شاهراً سيفه الخارق متوقعاً كل الاحتمالات . فقد بدا أن  
هذه الشجرة سوف تنجذب خلال لحظات مئات المقاتلين  
الشرسين .

فجأة ، انطلق نفس الصوت الأجش المثير للرعب من جوف  
الشجرة القرمزية :

ـ الويل لكم لو لم تسلموا لنا واحداً منكم نروى بدمائه الأرض  
القرمزية ..

بدأ الكلام غريباً وخاصة بالنسبة للفارس النادر ، فرغم أن  
النبرة مثيرة للخوف وتبدي شديدة الجشاشة ، فإن هناك شيئاً ما في  
معانى الكلمات التي نطق بها الشجرة القرمزية . فلاشك أن

ما يحدث ليس سوى تهديد لا أكثر . فلماذا تريد الشجرة القرمزية أن يسلموا واحدا منهم ، ولماذا لا يأخذونه عنوة وقوة طالما أنهم قادرون على ذلك؟

وبينما راح يفكر فيما يمكن أن يفعل ، سمع «الفارس النادر» ورفاقه نفس الصوت الأجش ينطلق من أعماق الشجرة :

ـ نحن نريد هذه الفتاة الصغيرة ١١

التفت الجميع إلى عائشة ، ثم راحوا يلتفون حولها كأنهم يحموها من خطر ، وجاء الصوت الأجش مكملا :

ـ قدماء البنات هي الشيء الوحيد الذي يعيد المارد لنومه الأبدى ..

وبذا الأمر محجاً ومثيراً للتساؤل ، فهذا يمكن للجميع أن يفعلوا لمواجهة هذا الخطر؟ .

قبل أن يفكر «الفارس النادر» فيما يمكن أن يفعل ، تحولت أنف الشجرة القرمزية إلى سيفون خشبية أخذت تتحرك هنا وهناك مما أثلج قلب الفارس ، فلاشك أنه يمكن التخلص منها في وقت وجيز بواسطة الأشعة المتقطعة التي تنطلق من مسدسات الأشعة التي يمكن للشباب أن يشهروها وهم يمسكون سيفونهم ، أحس أن الخطر ليس شديداً . وأن عليه أن يواجه الأمر بشيء من الحكمة

التي يمتلكها العجوز .  
وفجأة انتابته فكرة .

فطالما أن المارد النائم يود الحصول على دماء الفتاة عائشة كى  
ينام من جديد . فلماذا لا يجعله ينام دون أن إساله الدماء ؟  
لم يكن هناك وقت للتفكير .. ففجأة تغيرت الأشياء وامتدت  
الزوائد التي لم تتحول إلى سيفون بعد ، والتفت بسرعة حول  
عائشة .. وفي لمح البصر كانت قد اختفت ..  
حدث بكل شيء بسرعة لم يتوقعها أحد ، وبذا كان العملاق  
النائم لم يترك الفرصة لأحد أن يفك أو أن يتردد .

راح كل من سمير وماجد ومصطفى يضرب فيها حوله من أجل  
إنقاذ الفتاة . لكن كل شيء اختفى فجأة .. الشجرة القرمزية  
تحولت إلى نقطة صغيرة أقرب إلى حبة الرمل .. وعاد المكان إلى  
شبه صحراء جرداً ليس بها سوى بعض التنوءات .

صرخ ماجد :

- يجب أن ننقدها قبل أن يلتهمها المارد النائم ١١

انطلق الفارس فوق زلاقته وهو يقول :

- هيا بنا نلحق فم المارد قبل أن ينغلق عليها . إنه لم يلتهمها  
بعد ..

وأندفع الأربعة إلى مجهول لا يعرفونه ، فالمارد النائم حيوان غريب  
الشكل ومتعدد التركيبات وسرعه التغير ، ولذا فبعد قليل تحولت  
الصحراء إلى غابة كثيفة لاينفع فيها الانزلاق فوق الزلاقات ، ورغم  
ذلك جاحد الرفاق بقيادة الفارس النادر أن يفسحوا لأنفسهم  
طريقا حيث راح السيف الخارق يقطع الأعشاب الكثيفة ، أما  
ماجد فقد سعى بكل مالديه إلى إطلاق الأشعة المتقطعة كى يفسح  
لزملائه مكانا للانطلاق .

بدت المطاردة غريبة ومثيرة . فالزلقات تنطلق بسرعة شديدة ،  
رغم وعورة الطريق . ورغم تلك الشجرة الضخمة التي سقطت  
فجأة أمامهم ، فراحت تقطع عليهم سبيل التقدم .

( ٢٨ )

صاح « الفارس النادر » :  
- اقطعوا هذه الشجرة ..

ثم وجه نصل سيفه الخارق إلى جذع الشجرة الضخم الذي  
يصل ارتفاعه إلى عشرة أمتار ، وبسرعة تحول نصل السيف إلى  
منشار آلى ضخم راح يقطع الشجرة وإلى جواره اندفع مصطفى  
بسيفه الصغير يحاول أن يقلده .

وما إن كادوا أن يقطعوا الشجرة الضخمة حتى فوجئ كل منهم  
كأن شيئاً لم يكن ، وأن عليهم أن يبدعوا من جديد ، فسرعان ما  
التآمت الشجرة مرة أخرى كأن المناشير لم تمسها قط .

وحاولوا مرة ثانية وثالثة ، وأخيراً نجحوا في قطع جذع الشجرة  
إلى جزأين . كان على كل منهم أن يدفع بها معاً من أجل إزاحتها  
عن الطريق ، لكن وقبل أن يتنهوا من قطع الجزء الأخير عادت إلى  
هيئتها الأولى وكأن شيئاً لم يكن .

وقف الأربعة حيارى وهم يحسون بالعجز ، فها هو السيف  
الخارق يبدو عاجزاً عن قطع الشجرة ، وبالتالي فإن السيف  
الآخرى التى يمتلكها الرفاق فشلت بدورها في قطع الشجرة . هنا  
صاحب سمير :

ـ لنجرب الأشعة المتقطعة ..

وسرعان ما تحول سيفه إلى مسدس انطلقت منه الأشعة  
المتقطعة ، لكن فجأة صاح «الفارس النادر» :  
ـ انتبه . فالأشعة لاتنفذ . إنها ترتد إلينا ..

وانحنى سمير أرضاً كى يتلافى الأشعة القاتلة التى ارتدت إليه  
من الشجرة الضخمة التى لم ينجح أحد حتى الآن في قطعها . هنا  
قال الفارس بصوت بدا كأنه يخرج من أعماق رجل عجوز ملئ  
بالحكمة :

يأ إخوانى . لكل شئ قلبه ، وفي قلب الشئ مقتله . يجب أن ننفذ داخل الشجرة . .

و قبل أن ينتهي من جملته ، كان قد اندفع بسيفه في قلب جذع الشجرة ، كأنه يطعن شخصاً ما يبارزه ، ويسعى للتغلب عليه .. و فجأة سمعوا أنيناً ينطلق من داخل الشجرة . هلل مصطفى :  
- هل سمعت ، إنها تموت ؟

ووجأة انفتحت في الشجرة دائرة صغيرة انبعث من داخلها لون  
أخضر بدا كأنه انعكاس لأحجار كريمة . هنا تسمى الرفاق  
الأربعة . وأحسوا كأن هناك من يدعوهم للدخول . قال ماجد وهو  
ينظر إلى الفارس كأنه يحاول أن يستفسر منه عن شيء غامض :  
- هل ندخل .. أم تعتقد أنه فخ .. ؟

(۲۹)

بـدا الأمر مثيراً لـلارتبـاك الشـدـيد . فـهـنـاك شـيـء مـا جـذـابـ  
يـدـعـوهـم لـلـدـخـول فـي بـوـاـبـة الشـجـرـة الـخـضـرـاء . لـم يـكـن هـنـاك وقتـ  
لـلـتـرـدـد ، فـسـرـعـان مـا دـخـل « الـفـارـس الـنـادـر » يـتـبعـه رـفـاقـه الـذـينـ  
تـأـكـدـوا أـن ثـمـنـ المـخـاطـرـة هوـ الإـقـدـام وـعـدـمـ الـخـوـفـ مـهـماـ كانـ الـثـمـنـ .  
وـفـي جـوـفـ الشـجـرـة كانـ هـنـاكـ عـالـمـ سـاحـرـ ، جـيـلـ ، بـداـ كانـ

هناك ملايين المصابيح الغير مرئية ، قد عسكت أضواءها الخضراء في كل مكان ، وراح الأصدقاء يتقدموه بحذر شديد داخل مكان أشبه بنفق غريب الشكل ، كان كل منهم يحس كأن سيوفا سوف تخرج فجأة من بين الجدران كى تنغرس في أجسامهم . ولذا كان يمكن لكل منهم أن يسمع نبضات قلب رفيقه ، ليس أبداً بسبب الخوف ولكن من الخدر والتيقظ كأنهم قد استعدوا جميعاً لمحابه أي خطير يبرز فجأة ، وينال ما يريد .

فجأة صرخت عائشة :

-الحقوا

تسرم الجميع في أماكنهم . وراحوا ينظرون إلى المكان الذي أشارت إليه ، لم يكن سوى فار أحمر اللون سرعان ما اختفى . قال « الفارس النادر » :

-حسن . إذن هناك منفذ ما .

لم يفهم أحد شيئاً ، فهم لم يعرفوا بعد ماذا تكون الشجرة ، ولا إلى أين يؤدي النفق الذي هو في حقيقة الأمر ليس سوى جذعها . . كان عليهم أن يبحشو عن الفار بأى ثمن فلعله يرشدهم إلى مكان ما للخروج . خاصة أنهم كلما تقدموه في الطريق أحسوا أنهم يتوجلون في مجهول لاخرج منه .

فجأة صاح سمير :  
ـ هاهو الفأر ..

كان منظره غريباً حقاً ، ليس فقط بسبب لونه الأحمر وشواربه البيضاء ، وكأنه سقط في حوض مليء بالأصاباغ . وقف ينظر إليهم . وكأنه يود أن يقول شيئاً هاماً ، وكأنه يعرف طريقه جيداً .

كادت عائشة أن تصرخ ، فهى لا تحب الفثran وتشعر كأن قشيرة تصيب جسمها لو اقترب فأر منها . أما « الفارس النادر » فقد قال :

ـ علينا أن نسير خلفه .

وبالفعل راح الفأر يتصرف كأنه يقوم بقيادة مجموعة الرفاق . وخاصة عندما دخلوا في دائرة فروع الشجرة الضخمة ، وأحسوا كأنهم سوف يضيعون داخل لعبة المتابهة الأبدية التى لاخرج منها . راح الفأر يحفر فجأة في الأرض ، هنا قال « الفارس النادر » :  
ـ علينا أن نفعل مثله ..

تدخل مصطفى قائلاً : أليست معنا سيف الأشعة المتقطعة ؟ رد الفارس النادر : في بعض الأحيان نلجأ إلى البساطة والطرق البدائية ..

وراحوا يقلدون الفأر فيما يفعل .. لم يستغرقوا وقتاً طويلاً .

أحس ماجد كأن هناك شيئاً معدنياً يصطدم بأصابعه ، صاح :

ـ يبدو أنه صندوق ..

ثم راحوا يخفرون حول الصندوق . وقد امتلأت قلوبهم بالتساؤل . فترى ماذا يوجد في هذا الصندوق ؟ هل هناك كنز من الذهب والأحجار الكريمة . أم يوجد طلسم الخلود الذي لا يعرف أحد سره ؟

نجحوا في إخراج الصندوق ، كان غريب الشكل يبدو لاماً كأنه من الأحجار النادرة . قال الفارس بلكتنة العجوز وصوته :

ـ هل صدقتم ماقلت . لو كنا أطلقنا الإشعة المتقطعة لأفسدنا مابه ؟

سؤال سمير :

ـ لكن ماذا به ؟ هيا نفتحه ..

لم يبذل مصطفى أي مجهد وهو يمسك الصندوق بين يديه ، وراح يفتحه بسهولة ، وهنا كانت المفاجأة . صاحوا معاً . وبصوت واحد :

ـ يا إلهي .. إنها أقراص !!

و قبل أن يلمسها مصطفى بأصابعه صاح « الفارس النادر » بصوت العجوز :

- لا تلمس شيئاً .. قبل أن تعرف ماذا يكون ..

لم يستطع أحد أن يفهم سر هذه الأقراص الصفراء . كانت كبيرة الحجم بشكل يلفت الأنظار ، راح الجميع يقلب العلبة محاولاً أن يفهم سرها ، وكان هناك تعليمات يمكن الاستدلال بها على هوية هذه الأقراص .. هنا قالت عائشة :

- أكيد إنها تخص المارد النائم .

وعلى الفور لمعت في العيون تساؤلات واستفسارات ، نطق الفارس :

- رائع .. إنها هي .. لقد خدمنا هذا الفار كثيراً .

وراح يلتفت الصندوق ويدقق فيها بحدة كأنه يتحقق من صحة أفكاره . ثم قال :

- يجب أن نخرج من هنا حالاً .

سأل مصطفى وسمير معاً : ماذا هناك ؟

رد بسرعة : يجب أن ينام المارد .

راح ينظر حوله لعله يجد مكاناً يخرج منه إلى سطح الجسر مرة أخرى .. ثم قال :

- الآن جاء دور الأشعة المتقطعة ..

كان عليه أن يترك الرفاق ليقوموا بهذه المهمة ، ولم يشأ أن يفعل

ذلك بسيفه الخارج ، أحس الرفاق الأربع بأن هناك مسئولية ملقاء على عاتق كل منهم ، فراحوا يحولون سيفهم إلى مسدسات تطلق الأشعة المتقطعة ، وأخذوا يسلطونها على جزء ممدد من باطن جذع الشجرة ، وبدا كأنهم يقومون بচهر قطعة ضخمة من الصلب أسفل نيران قوية وشديدة .

وبعد قليل ، خرج الجميع إلى الجسر مرة أخرى ، كانوا يتصررون أنهم سوف يرون ضوء النهار أمام أعينهم . ولكن المفاجأة أن المكان بدا مظلماً للغاية وكان شيئاً ما يحجب ضوء النهار عنهم ، رفع ماجد عينيه إلى أعلى . وهتف :

انظروا .. إنه هو !!

وسرعان ما رفعوا أعينهم إلى أعلى . كان هناك ، بدا كأنه قد استيقظ من النوم لتوه ، وأنه الآن في قمة نشاطه . ويستعد لمعاقبة كل هؤلاء الذين ساهموا في إيقاظه من نومه اللذيد .

(٣٠)

كان ضخماً للغاية ، كأنه إحدى ناطحات السحب العالية ، أو كأنه دودة شريطية متعددة الطبقات ، ويبدو وجهه بالغ الصخامة كأنه قطعة حية محفورة داخل جبل عملاق ، لمعت

عيناه ، ثم ثناءب ، فانطلقت من فمه عاصفة هوجاء طوحت بهم جميعاً بمن فيهم « الفارس النادر » أرضاً وأبعدتهم عن بعضهم . حاولوا أن يتماسكوا من جديد ، وبدأ أن هم « الفارس النادر » هو أن يحتفظ معه بصندوق الأفراد منها كانت المخاطر . فهو الآن يعرف فوائدها . . . كان يعرف أن على المارد أن يعود مرة أخرى إلى نومه العميق . . وأن ذلك يحتاج إلى مجهد ضخم ومهمة صعبة للغاية .

حين التمموا مرة أخرى ، قال « الفارس النادر » :

- هل تعرفون ماذا يعني الطموح الذي نحن بقصد البحث عنه . . إنه استمرار الحياة . ولو لم نصل إليه ما اعتبرنا أنفسنا أحياه . .

قال مصطفى : لكن ، ماذا نفعل ، إنه ضخم ، وقوى . .

أشار الفارس إلى الصندوق الذي بين يديه ، وقال :

- هذا هو الحل الأكيد . .

لم يكن هناك وقت كى يشرح لهم ، فها هو المارد يستعد لأن يثناءب من جديد ، كان غريب الشكل فعلاً ، وبدأ وجهه كأنه مصنوع من الصخور ، التي بدت الآن عاليه كأنها قد امتصت السحب وعلت فوقها .

أصبح عليه أن يتسلق جسد المارد بأى ثمن ، وأن يصل إلى هذه الرأس الغريبة دون أن يمسه ضر أو أذى .. لكنه يخشى أن يمس أى نقطة حساسة من جسم المارد فيجعله أكثر يقظة . لذا راح يدبر خطته مع رفقاء الشباب . كان على الرفاق أن يشدوا انتباه المارد دون أن يصيبوه بأذى . فهو رغم ضخامته وقوته ليس سوى كائن مسكين وجد نفسه قد صحا من نومه العميق ، وعليه أن يثار بأى ثمن من هؤلاء الغزاوة الذين فعلوا ذلك ..

قامت الخطة على أساس أن يتسلق « الفارس النادر » جسد الحيوان الضخم بكل سرعة وبكل ما يمتلك من مهارة في مثل تلك الأعمال ، وأن ينفع الرفاق في أن يدفعوه بأى ثمن كى يفتح فمه ، سواء بأن يتثاءب أو أن يطلق صرخة ألم ..  
ترى هل ستنجح الخطة ؟

(٣١)

فجأة دب فيه نشاط غريب الشكل ..  
وراح يقفز بين أصلع المارد النائم كأنه يتسلق جبلاً ضخماً بينما أخذ الرفاق الأربعة يطلقون الطلقات الآوتوماتيكية من أجل إيهام المارد عن الفارس الذى نجح في أن يتسلق جسده .  
فجأة صاحت عائشة :

- اضرروا عليه مباشرة .. هذه هي الخطأ !!

لم يكن أحد منهم يملك من المهارة لدرجة أن يصوب بدقة نحو  
أنفه الضخم ، فيجعل الطلقة تمر على مسافة قريبة من أنفه فيشم  
رائحتها دون أن تصيبه بأى أذى ، فيضطر أن يغلق أنفه ويفتح فمه  
من أجل أن يستغل الفارس الفرصة ، ويقذف في داخل جوفه  
بكيس الأقراص المنومة التي ستعيد المارد مرة أخرى إلى رقاده  
الأبدى .

أمسك مصطفى مسدسه وراح يصوب المسدس نحو أنف  
المارد ، وبدأت يده في الاهتزاز ، فهو لاعب كرة ولم يكن أبداً من  
الرماة الماهرین ، قال وهو يرتجف :

- أخاف أن تمسه الطلقة فتؤديه وأن يتحول إلى وحش كاسر .  
و قبل أن يشد منه ماجد المسدس كى يستعد بدوره ليصوب  
فوهته نحو المارد ، انطلقت عاصفة هوجاء راحت تدفعهم مجدداً  
وتسقطهم بعيداً ، صاحت عائشة وهى تتطاير :  
- إنه يشأب ..

يالها من فرصة نادرة ، ففى تلك اللحظة كان « الفارس النادر »  
قد تشبث بذقن المارد المليئة بالتوءات ، وأخذ يقاوم كل تلك  
العاصفة التي تنطلق من فم المارد وهو يشأب ، ثم أسع ، وبكل

قوته ، رمى بكيس الأقراص داخل فمه ..  
وسقط الكيس في فم المارد .. فأغلق شفتيه عليه ..  
يستعد مرة أخرى للثاؤب كأنه يجن للنوم من جديد ..  
وبينما راح المارد يتلع كيس الأقراص المنومة ، كان «الله النادر» قد أطلق جسمه في الهواء وراح يسقط فوق أرض الج بدت المسافة عالية ، لكنه بدا من الرشاقة جداً جعله يص الأرض سالماً دون أن يصاب بأى أذى ..  
وتحركت الأحداث بسرعة ، وبدا المارد كأنه يتثاءب من جد وكان على الجميع أن ينطلقوا هاربين قبل أن يجشم المارد أجسادهم وهو يمدد جسمه ، ويستعيد نومه مرة أخرى ..  
بدا النعاس ماثلاً على وجهه . وراح فكاه يتلاطمها كأته في الحاجة للنوم ، هتف مصطفى وهو يهرب جارياً :  
- سوف ينام . إنه يتثاءب !!  
وببدأ المارد يضع الأقراص . ثم يتلعلها .. هنا صاح المارد .. انظروا .. هيا نهرب من هنا ..  
كانت هناك فتحة ضيقة أسفل المارد يمكن النغاذ منها إلى الأخرى من الجسر ، وبينما استعد المارد للنوم مرة أخرى ، ج الرفاق الأربع في عمل فتحة أكثراً اتساعاً يمرون فيها إلى الج



الآخر . . فقد كان جسم المارد غريبا في تركيبه ، يبدو في أجزاء منها أقرب إلى الهمامة وفي أجزاء أخرى كأنه من الصلب الأبيض اللامع الذي لا يمكن لأحد أن يخترقه ، وبينما حاولت عائشة أن تمر من تلك الفتحة الضيقة ، بدأت الفتحة تضيق وتحول إلى صلب متين بعد أن كانت شديدة الرخاوة ، وهلامية التكوين .

صاح « الفارس النادر » :

- اسرعوا فالوقت ضيق ، والمارد وقد أن يسقط علينا بين لحظة وأخرى .

وبالفعل بدا المارد يتزاح وهو يستعد للنوم مرة أخرى ، ولذا كان على عائشة أن تمر وأن تغوص بين المادة الهمامية التي تشعر بالاشمئزاز الشديد منها ، وهى تغوص فيها حتى لا يضغط الصلب عليها فيحطم ضلوعها .

ومرت عائشة ، ثم قفز مصطفى في داخل المادة الهمامية يتبعه سمير ، ثم ماجد . . أما « الفارس النادر » فكان آخر من استطاع أن يمر في اللحظة الأخيرة .

بدأ كأن مفعول الأقراص قد حدث بسرعة ، فراح المارد يقترب من الأرض بواسطة زوائد الملاصقة .

لكن المسكين لم ينم . لقد ظن نفسه أنه قد مضى أقراص

التنويم . لذا خيل له أنه سوف ينام . لم يكن يعرف أن الأقراص التي ابتلعها هي في حقيقة الأمر للتنشيط وأنه قد دبر هذه المؤامرة كى ينتقم من «المارد النائم» الذى قضى في يوم ما على جنس الفئران الحمراء ذوات الشوارب البيضاء .

(٣٢)

وجد الرفاق أنفسهم بعيداً عن منطقة المارد النائم «أبو النوم» الذي تحول الآن إلى مارد متيقظ لا يمكنه أن ينام لسنوات طويلة ..

لم يكن يمكن للمارد المتيقظ دوماً أن يخترق أحد منطقته فوق جسر الأهواز ، وذلك حسب القوانين الموضوعة هناك ، لذا فرغم أنه قرر أن ينتقم من كانوا سبباً في إصابته بمرض اليقظة الأبدي ، فإنه لم يعد يستطيع أن يفعل شيئاً بالمرة .

وقف العجوز ينظر إلى الأفق حوله وإلى جواره الرفاق الأربع ، بدا الجسر طويلاً وكأنه لآخرة له بالمرة ، إنه أشبه بشعان ملتو ، يغوص في أماكن عديدة وهو يبدو كأنه سور الصين العظيم يخترق الجبال بلا نهاية .

كادت عائشة ، المعروفة بأنها صاحبة أعلى درجات طموح في

مديتها ، أن تطلب العودة بعد أن أصحابها الخوف أكثر من مرة ونجلت من أخطار حقيقة . إلا أنها تراجعت في رغبتها ، أن تتحدث عن مشاعرها . فهي تحس أنها عضو في فريق جاء لهمة مقدسة ، فالأخطر إذا جاءت فإنها تجيء للأربعة مجتمعين بالإضافة إلى ذلك العجوز أو رجل الخيال الغريب الأطوار كما تحب أن تلقبه بينها وبين نفسها .

لم يكن أحد يعرف أن هذا الطريق الطويل الذي يبدو ساكنا الآن يؤدي إلى منطقة أخرى من مناطق الأحوال التي تتدبر طول الجسر ، وأنهم مقبلون الآن إلى منطقة أشد خطورة . منطقة لا تعرف الرحمة ولا تعامل بالمشاعر . فإذا كانت المعركة السابقة قد قت دون إراقة نقطة دم واحدة ، وذلك للتعاطف الذي حدث بين «الفارس النادر» ، وبين المارد النائم «أبو النوم» ، فإن المنطقة الجديدة تحتاج إلى معاملة خاصة ..

إنها منطقة الخداع البصري ..

منطقة عدم اليقين التي لا يمكن لأحد أن يتأكد فيها من هوية الأشياء التي أن تقابلها .

إنها منطقة التناقضات والغرائب والعجبائب ، وعلى أبطالنا أن يجتازوها بأقل خسائر ممكنة .

في البداية ، بدا كل شيء ساكناً هادئاً يبعث على الهدوء والارتياح . جلس «الشبح الأزرق» يرقب المشهد أمامه وهو يكظم غيظه ويود أن يحيط كل الأشياء التي حوله ، فها هو عدوه اللدود «الفارس النادر» ، قد نجح في اختراق منطقة «أبو النوم» دون أى خسائر تذكر ، كان يتمنى ، على الأقل ، لو فقد واحداً من رفاقه فتصيبه الحسرة والتردد ، ويقرر أن يكف عن استكمال رحلته المليئة بالمخاطر والغموض .

راح يردد في داخل نفسه :

ـ بودى ولو لمرة واحدة أن انتصر على هذا «النادر» ..

في هذه المرة لم تخرج كلماته على الشاشة الآليكترونية ، هو الذى اختار أن يتكلّم في صمت . وأن تبدو عباراته مسجلة على الشاشة أمامه خاصة كلماته الصارخة ، فهو منذ أن تولى الأمور في «المدينة الزرقاء» . وهو يتبع أساليب تجعل أتباعه يتساءلون دوماً عن سر تصرفاته الغريبة .

لم يكن أحد يعرف لماذا فكر «الشبح الأزرق» في سرقة الطموح من مدينة «التفاحة البنفسجية» ، ولا ما هو هدفه سوى أن يجعل أبناء المدينة يصابون بالإحباط ، وأن يشعروا أن الغد لا أمل منه

وللفائدة . لقد تصور أنه بهذا يفتح الباب لأبناء مدينة « البرقوق الطازج » بأن يفكروا في الإستيلاء وبأقصى سرعة على المدينة المنافسة ، وأحس بالإحباط الشديد أن أبناء هذه المدينة قرروا أن يعيدوا الطموح المفقود بأى ثمن ، لأنه لاطموح بلا منافسة ولا منافسة بلا نجاح ..

وللذا فكر في أن يصب غضبه على أبناء مدينة « البرقوق الطازج ». لكنه قال لنفسه :

ـ ليس هذا وقته . سوف يحدث لهم مالا تحمد عقباه .

كانت كل نيته متوجهة لعرقلة « الفارس النادر » ورفاقه حتى يتمكن رجاله من اختراق الطريق الدائري البالغ الطول ، حيث سيدفون صندوق الطموح في « مقبرة الرغبات » التى لا يخرج منها أبداً أى شيء دفن فيها .

راح يرقب الخريطة أمامه . كان رجاله هناك يمتنعون الجياد الخضراء في طريقهم الطويل إلى هدف شرير ، وفي نفس الوقت رأى العجوز يدخل دائرة الخداع البصري . فتتمس ب النوع من الشهادة والفرح :

ـ هائل .. لقد اقتربوا من الخطر الحقيقى !!

(٣٤)

لم يجد هناك أى خطر حقيقي في الأفق . الشيء الوحيد الذي بدا كأنه يعكر صفو الرحلة هو أن الطريق كان طويلا ، وعلى المجموعة أن تركب شيئاً فوق الجسر كي تصل به إلى نهايته . وذلك قبل أن يصل الصندوق إلى مثواه الأخيرة ..

فجأة صاح ماجد :  
- انظروا !!

واراح الآخرون ينظرون إلى حيث أشار ماجد ، هبفت عائشة :  
- إنه شيء يحترق ..  
علق مصطفى : أو لعله شخص .. تعالى لنقترب منه ..  
يجب أن نساعدة ..

رأى الرفاق شخصاً يحاول أن إطفاء النيران التي اشتعلت في جسده . كان بعيداً . وكأنه يطلب النجدة . قرر الرفاق مساعدته ، أحسوا لأول مرة كأن شيئاً يجمعهم .. هنا تساءل العجوز :

- لماذا تساعدون شخصاً اشتعلت فيه النيران؟ . دعوه ..  
بدت الدهشة على الوجوه . وكأنهم أصيروا بصدمة مفاجئة .  
قالت عائشة :

ـ لأنه يجب أن يعيش !!

سؤال العجوز : ولماذا لا يموت .. ؟

رد سمير : الأمل دائمًا موجود ..

ومن جديد سأل العجوز : ولماذا هو موجود .. الأمل ؟

علت الحيرة الوجوه .. رد ماجد :

ـ الأمل يعني الغد .. أو المستقبل ..

أكملت عائشة : يعني الطموح ..

استدار العجوز إلى عائشة ، وقال :

ـ يعني الطموح .. الطموح إذن مرتبط بالأمل . ولا أمل بغير طموح .. هه .. إذن هذا الرجل الذي يحترق لديه الأمل أن يعيش .

وسكط .. ثم قال بصوت عميق ، بدا كأنه يخرج مشاعره من أعماقه :

ـ إذن ، يجب أن نساعدك ..

(٣٥)

هتف « حكيم » مدينة الحكايات وهو يشاهد العجوز يتحرك ناحية الرجل المحترق :

ـ لا . . لا تفعل هذا . .

لم يكن بإمكانه أن يفعل شيئاً ، فحسب قانون مدينة الحكايات ، فليس من الممكن أبداً مساعدة أحد أبناء المدينة في مغامراتهم ، عليهم أن يتركوهم لمصائرهم ، حتى ولو كان الخطر قائماً ، حتى ولو دفعوا حيواناتهم ثمناً لهذا كله .

إن حكيم المدينة يعرف جيداً أى خطر يقبل عليه أحد أبطال الحكايات ومعه رفقاء من الشباب ، ومع هذا لم يكن بيده أن يفعل شيئاً ، شاهد على الشاشة الجميع يهربون ناحية الكائن المحترق ، وعندما اقتربوا منه انتابتهم الدهشة . ووقفوا فجأة .

أشار العجوز إلى الزملاء بالتوقف وقال :

ـ إنه ليس إنساناً . . بل هو كائن هلامي !!

بدأ المنظر غريباً ، رأه كل منهم بطريقة مختلفة ، لذا قال كل واحد كلاماً مختلفاً عما رأه ، وبدت آراؤهم متباعدة . فقد رأت عائشة أمامها حصاناً يحترق ، أما ماجد فقد رأه شجرة تشتعل ، ورأه مصطفى هيكلًا عظيمًا يرقص وسط النار . وفتم سمير :

ـ يا إلهى . إنه سمك قرش . يحترق . .

بدأ المشهد مثيراً ، والأقاويل متناقضة . خاصة أن العجوز ، قد رأى أمامه أشياء تروح وتتحى دون أن يحدد كنهها بالضبط . علل

ذلك بأن الشيخوخة التي أصابته جعلت نظره ضعيفاً ، وحاول أن يستعين بالفارس الذي يسكن في داخله ، لكنه لم يستطع ، فالفارس لا ينسليخ منه إلا عند الضرورة القصوى .

وسرعان ماساد اللعنة وأعينهم ترى هذا الكائن بأشكال متعددة . حاول كل منهم أن يفرض رأيه طالما أنه واثق بما يشاهده ..

فجأة دفع ماجد زميله « سمير » ، وقال :

— أنت تكذب .. فما أراه هو شجرة تشتعل ، ويجب أن نطفئها .. لأنني أحب الأشجار خضراء ..

هتف « سمير » وهو يحاول أن يكظم غيظه ..

— لا .. إنه سمكة قرش تحرق ..

هنا تدخل مصطفى :

وكادوا أن يتضاربوا . لو لا أن ظهر شيء بالغ الغرابة ..

( ٣٦ )

فجأة ظهرت أربع كائنات معاً . راحت تحرق أمامهم . سمكة قرش وهيكل عظمى وشجرة خضراء وحصان ضخم . لم تكن هذه الكائنات تشتعل بالفعل ، بل كانت كائنات تحوطها النيران دون أن تمسها بأى أذى ..

ولأول مرة شاهد الجميع نفس الكائنات التي بدأت تقترب  
منهم . صاح مصطفى :  
- انظر .. إنه ..

و قبل أن يتنهى من كلامه رد ماجد غاضبا : ألم أقل إنه شجرة  
تشتعل ؟

و وجدوا أنفسهم منغمسين في لغط جديد ، فقد تصور كل  
منهم أنه على حق . وهو يرى الأشياء تشتعل أمامهم . هنا صاح  
العجوز ، الذي بدا كأنه تبين حقيقة الأمر :

- انتبهوا .. فنحن في حالة خداع بصرى ..

ثم أطلق صرخة : هذه الكائنات المشتعلة ستها جمنا ، وتحاول  
أن تشعل فينا النيران مثلها .

وبالفعل ، راحت الكائنات المشتعلة تتحرك ، وكأنها ترقص ،  
وتنهادى ناحية الرفاق ، تود أن تلمسهم . وسرعان ماتتبه الرفاق  
إلى حقيقة الموقف ، وفي بداية الأمر ، وقفوا جامدين في أماكنهم  
لا يعرفون ماذا يفعلون ، ثم فكر ماجد قائلا :

- علينا الهروب ..

هنا تدخل العجوز : الهروب منع فوق الجسر . بل علينا  
المواجهة .

وهي ترتجف ، ردت عائشة :  
ـ سوف نشتعل .

صاحب سمير : إنها تقترب .. يجب أن نهرب ..  
رد العجوز بكل ثقة : إلا الهروب .. إلا الهروب ..  
صرخت عائشة : ليس أمامنا سوى أن نهرب ..  
وهنا كانت الكائنات قد أصبحت أكثر اقتربا .

(٣٧)

لم يكن أمامه سوى أن ينسليخ ، مع اقتراب الخطير منه ، وأن  
يجاوه تلك المخلوقات الغريبة الشكل ، وسرعان ما ظهر « الفارس  
النادر » ، مرتديا ملابس الفروسية البيضاء ، ورفع سيفه الخارق ،  
الذى يلمع نصله بقوة ، وراح يوجهه نحو النيران المشتعلة في تلك  
المخلوقات .

وكانت مفاجأة !!

لقد تصور الفارس أن النيران المشتعلة حول تلك الأجسام ،  
سوف ينعكس هبها الحاد فوق النصل ثم يرتد مرة أخرى إلى تلك  
الكائنات . ولكن النيران لم تنعكس قط على نصل السيف ، بينما  
اقتربت الكائنات المشتعلة أكثر فأكثر . صاح :

- يا إلهي . إنها ليست كائنات حقيقة ..

لم يكن هناك وقت للتساؤل . حاول الرفاق أن يهربوا من ذلك الخطر الذي اقترب منهم فراحوا يتسبّبون في المكان ، إلا أن الفارس صاح بصوته الجهوري :

- لاتشتو ، وإلا حانت نهايةكم !!

لم يكن هناك وقت للسؤال . ورغم أن الرفاق حاولوا أن يعملوا بنصيحة « الفارس النادر » ، فإن الموقف ازداد تدهورا حيث تحول المكان فجأة إلى كتلة من النيران الشديدة الإشتعال ، وظهرت كرات ضخمة من النيران راحت تنزلق على أرض الجسر كأنها دفعتها مناجيق ضخمة . بينما تحركت كتلة النيران كأنها موجة عالية لن تقف في مواجهتها أى سفينة منها بلغت ضيّقامتها ، ولا أى مدينة ستقابلها عند الشاطئ .

كان هذا مشهداً مهيباً للغاية ، كفيلاً أن يجعل أقوى القلوب تكف عن النبض من شدة الخوف . وأمام مثل هذا المشهد المروع ، والمثير ، كان لابد للرفاق أن يلوذوا بالقرار محاولين البحث عن طريق النجاة ، حتى ولو عادوا إلى منطقة المارد المتيقظ وأن يتركوه ينال منهم . فلاشك أن المارد أكثر رحمة من هذه النيران المندفعة .

لم يكن أمامهم سوى أن يفعلوا هذا ، فالنيران تصطرك ، كأن الكون كله قد احترق . ولكن صوت « الفارس النادر » جاء محدرا :

ـ لاتشتتوا .. اثبتوا في أماكنكم .  
(٣٨)

لم تكن هناك أى فرصة للتفكير في أن يتصوروه مجنونا ، أو أن هول المشهد قد أصابه بنوع من الهوس . مما جعله ينطق بها لا يعرف . قال :

ـ اقفزوا داخل النيران ..  
تمتم ماجد في داخله : إنه يود أن يتخلص منا ..  
سأل سمير : هل سنموم معا؟

قال الفارس وهو يشير إلى موجة النيران العاتية التي انطلقت :

نحوهم :

ـ اقفزوا داخل النيران ..

كانت الكتل النارية قد انطلقت في كل مكان ، لكن من المدهش حقا أنها لم تقترب فقط منهم وكأن من القاها لم ينجح في إصابة الهدف بالمرة . أما الكائنات المستعلة فقد وقفت أمام الموجة النارية القادمة ، كأنها تستعد لشن هجوم شامل لا يعرف أحد عواقبه سوى الله .

وبكل ما يملك من شجاعة وقوة ، رفع الفارس يديه إلى أعلى .  
ثم نصب جسمه . وكأنه يستعد للقفز داخل موجة عارمة قوية  
يمكنها أن تكتسح أمامها كل الأشياء ، وبمهارة وسرعة قفز داخل  
موجة النيران وهو يردد :

ـ اللهم إنى استعين بك في حاجتى إليك ..

ـ قبل أن يغوص في النيران ، سمعه الرفاق يردد :

ـ افزوا قبل أن يقتلكم الخوف .

وتحركت الأحداث بسرعة رهيبة ، أحسست عائشة وهى أكثرهم  
خوفا وجبنا ، أنها لو لم تمت بالنيران وتجابها مثلما فعل «الفارس  
النادر» فإنها سوف تموت من الخوف ، وإن النيران ستلتحق بها  
وتلتهمها شاءت أم أبى .. لذا راحت تنصب جسدها بدورها  
ورفعت يديها لأعلى . واستعدت للقفز داخل الموجة النارية بكل  
مالديها من قوة وعزيمة ..

وبينما هي تغوص داخل موجة النيران العاتية ، أحس ماجد ،  
أنه من الأفضل أن يموت شجاعا مقداما بدلا من أن تحرقه النار  
جبانا خائفا ، فلم يتأخر عن اللحاق بزميالته ورمى نفسه في  
النيران ..

ـ ولم يبق سوى سمير ومصطفى ..

(٣٩)

وَجَدَ الْجَمِيعَ أَنفُسَهُمْ فِي مَكَانٍ آخَرَ مِنِ الْجَسْرِ يَسُودُهُ الْهَدْوَةُ  
وَالسَّكِينَةُ، رَاحُوا يَنْظَرُونَ إِلَى بَعْضِهِمْ الْبَعْضُ وَهُمْ لَا يَصْدِقُونَ  
أَعْيُنَهُمْ تِلْكَ الْعَيْنَنِ الَّتِي بَدَتْ كَأَنَّ ضَعْفَ الْإِبْصَارِ قدْ أَصَابَهَا قَبْلَ  
قَلِيلٍ.. أَمْسَكَ سَمِيرَ بِكَتْفِ زَمِيلِهِ مُصْطَفِيٍّ، وَرَدَّدَ :

- هَلْ نَحْنُ فِي الْجَنَّةِ؟

رَدَ مُصْطَفِيٍّ : لَا .. مَا زَلْنَا فَوْقَ الْجَسْرِ ..

ضَحَّكَتْ عَائِشَةُ، وَقَالَتْ :

- يَبْدُو أَنِّي مَا زَلْتُ عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ ..

عَلَقَ مَاجِدٌ : لَقَدْ كَانَ كَابُوسًا .. بِالْتَّأْكِيدِ ..

وَدَامَتْ لَحْظَةُ صَمْتٍ . ثُمَّ عَادَ مُصْطَفِيُّ التَّسْأُولَ : هَلْ كَانَتْ  
هُنَاكَ نِيرَانٌ فَعَلًا؟

رَدَتْ عَائِشَةُ : أَنَا شَخْصِيَا شَاهَدْتُ نِيرَانًا وَحَصَانًا يَشْتَعِلُ ..  
رَدَ مُصْطَفِيٍّ : وَأَنَا شَاهَدْتُ الْأَمْوَاجَ الْمُشْتَعِلَةَ . وَالْكَرَاتِ  
النَّارِيَةِ .. و..

ثُمَّ سَكَتَ . وَأَكْمَلَ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ : شَيْءٌ غَرِيبٌ ..  
بَدَوَا كَأْنَهُمْ نَسَوُا أَنَّ الْعَجُوزَ قَدْ جَلَسَ فَوْقَ الْأَرْضِ يَحَاوِلُ أَنْ  
يَلْقَطَ أَنْفَاسَهُ، وَسَمِعُوهُ يَسْعُلُ بِشَدَّةٍ، وَعِنْدَمَا تَفَتَّوْا إِلَيْهِ رَأَوْهُ

يضع ده على فمه ، كأنه يحاول أن يمنع السعال الشديد . سألت عائشة :

ـ هل شاهدت النيران فعلا ؟

هز رأسه دون أن يتكلم . وانشغل بحالة مفاجئة من السعال أصابته من جديد . تتم سمير :

ـ ترى هل كانت هناك نيران .. وجیاد مشتعلة .. وسمكة قرش تحترق .. ؟

هز العجوز رأسه كأنه يؤكّد على كلامهم . سأل ماجد :

ـ لكن أين ذهبت ؟ ييدو أنها أوهام !!

وكان المفاجأة أن العجوز هز رأسه بالإيجاب أيضا ، بعد أن نجح في إيقاف السعال . راح يمد يده إلى مصطفى و Mageed كى يساعداه على النهوض . سألت عائشة :

ـ هل أنت متأكد أنها كانت أوهاما ؟

مط شفتيه بطريقة أثارت التساؤل . وكأنه يعرف الإجابة الحقيقة ، وكأنه أيضا لا يعرف شيئا ..

قال العجوز :

ـ لقد كنا في منطقة الخداع البصري ..

و قبل أن تكتسى الوجوه بالدهشة ، راح يكمل :

— لقد عرفت الحقيقة حينما لم أشاهد انعكاساً للنيران على السيف الخارق .. ولذا كان على أن أعود إلى شيخوختى .. فالفارس النادر لا يظهر إلا عند لحظة المخطر ، ورميت بنفسي في النار التي لم تكن سوى وهم وسراب ..

رد ماجد : سراب .. ياله من أمر غريب !!

علقت عائشة : لكن السراب يظهر فيها يتعلّق بالماء . حين تنعكس صورة الماء بواسطة أشعة الشمس في الصحراء فيخيل لنا أن هناك بحيرة .. بينما هي بعيدة ..

رد العجوز : هنا ، في هذا الجسر ، يمكن أن نرى أول سراب من نوعه . « سراب النيران » ..

ثم سكت قليلاً ، وراح ينظر إلى المكان أمامه ، بدا الجسر أكثر وضوحاً أمام عينيه ، ومن جديد لم ير نهاية الجسر ، لكن بدت أطرافه البعيدة قال :

— يبدو أننا اجتننا نصف الجسر ..

علق مصطفى : المهم التوقيت .. هل يمكننا أن نصل في الموعد ؟

راحوا يحيطون بالعجز ، وهو يرقب المنظر من حوله ، كان ينظر إلى السماء تارة ثم إلى الأفق تارة أخرى . وكأنه يحاول البحث عن إجابات لأسئلة عديدة تدور في رأسه ، ثم قال :

ـ هنا . فوق الجسر يتوقف الزمان تماما . وهذا هو الفرق بين من يمشي هنا وبين الفرسان الذين ركبوا الطريق الدائري . . .  
كان بذلك كأنه يعلن أن الأمر لم يحسم بعد ، وأن الزمن الساكن هنا فوق الجسر لا يمكن أن ينبع بأى شيء يتعلق بنهائية تلك المغامرة المثيرة . ولذا فعليه أن يفعل شيئا يجعله يتخطى حدود الزمن . لذا قال :

ـ هذا الجسر أشبه بمدينة «التفاحة البنفسجية» . التي ضاع منها الطموح . إنها مدينة بلا زمان .  
سأل ماجد :

ـ ماذا تقصد بالضبط ؟

( ٤٠ )

عرف الرفاق أن «جسر الأهواز» المسكن من هذه الكائنات الغريبة ، أشبه بمدينة بلا طموح لازم فيها ولا عقارب ساعة ، ولا أمل في الغد ، فالمارد النائم لا يهمه بالمرة أن يتحرك الزمن ، المهم أن ينام ، أما منطقة الخداع البصري فلا أى زمان فيها . وأكمل كلامه قائلا :

ـ هل سأل أحد منكم نفسه ، هل يمكن أن نواجه نفس المخاطر في طريق العودة ؟

ردت عائشة : لقد سألت نفسى هذا السؤال ..  
تتم : حسن ، إنها أسئلة مفيدة .. لكننا سنعرف إجابتها حين  
نبدأ رحلة العودة ..  
قال ماجد في يأس :  
ـ هذا إذا قدر لنا أن نعود ؟

سؤال مصطفى : لماذا تقول ذلك .. هل فقدت الأمل .. ؟  
ابتسم سمير وقال : آه .. إياك أن تكون قد شربت نفس  
السائل الذى شربه أبناء مدینتنا .  
علق ماجد : اليأس حالة قد تصيب المرء فجأة عندما يرى  
الطريق مسدودا .. انظروا ..

وأشار إلى بوابة حديدية سدت الطريق الذى أمامهم فجأة ..  
والتي اقتربوا منها . بدت البوابة كأنها ظهرت دون سابق إنذار .  
هتف مصطفى :

ـ انظروا .. إنها كتابة غريبة !!  
رأوا على الباب لوحة صغيرة مرسوما عليها طائر ذهبي اللون ،  
يبدو غريباً الشكل ، كأنه النسر . رد العجوز :  
ـ إنه « النسر القعيد » ..  
بدأ الاسم غريباً على مسامع الرفاق . أشار العجوز إلى السور  
الحديدي ، وقال :

- في أغلب ظني أن النسور القعيدة تسكن هذا المكان؟

سألت عائشة : ماهى النسور القعيدة بالضبط .. ؟

رد : دعونا نرى .. إنها غريبة الشكل وكثيرة العدد ..

سؤال ماجد :

- هل من الضروري أن ندخل؟

رد العجوز : ليس أمامنا سوى الدخول .. إنه مصيرنا ..

تساءل سمير :

- يبدو أنها طيور شرسة .. بل باللغة الشرasse ..

(٤١)

وكان عليهم أن يجتازوا السور الحديدي الذى لم يكن موصدًا بالمرة ، دفع مصطفى الباب يعاونه ماجد بينما تقدم سمير وعائشة كأنهما يستطلعان المكان ، أما العجوز فقد آثر هذه المرة أن يكون في المؤخرة حتى يتصرف عند أي خطر مفاجئ .

وسرعان ما انبعثت رائحة كريهة من المكان ، وكان الحياة لم تعرف طريقها إلى هذا المكان منذ أمد طويل ، راحوا يسدون أنوفهم حتى لا تسد الروائح أنوفهم فتكاد تصيبهم بالغثيان ، صاح ماجد :

ـ إنـه غـاز المـيثـان ..

وسـرعـان ما أـكـدـ زـمـلـاؤـهـ نـفـسـ الرـأـيـ .ـ إـنـهـ غـازـ يـنـبـعـثـ فـيـ  
الـبـحـيرـاتـ السـاـكـنـةـ الـخـالـيـةـ مـنـ الـحـيـاةـ دـائـيـاـ .ـ أـحـسـواـ أـنـ الـمـنـطـقـةـ تـكـادـ  
تـكـوـنـ خـاـوـيـةـ مـنـ وـجـودـ أـيـ كـائـنـ حـيـ .ـ وـإـلـاـ مـاـ اـنـطـلـقـ هـذـاـ الغـازـ  
بـكـلـ حـدـدـ ،ـ رـغـمـ أـنـ الـجـسـرـ مـكـانـ مـفـتوـحـ .ـ قـالـتـ عـائـشـةـ :ـ  
ـ لـعـلـ النـسـورـ مـاتـ مـنـذـ زـمـنـ طـوـيـلـ .ـ

وـقـبـلـ أـنـ تـنـتـهـىـ مـنـ جـمـلـتـهـاـ سـمـعـتـ صـوـتاـ غـرـيـباـ ،ـ سـبـقـ لـهـ أـنـ  
سـمـعـتـهـ فـيـ حـدـيـقـةـ الـحـيـوانـ مـدـيـتـهـاـ فـابـتـلـعـتـ كـلـمـاتـهـاـ ،ـ وـقـالـتـ :ـ  
ـ شـىـءـ غـرـيـبـ ..ـ يـيـدـوـ أـنـ هـنـاكـ نـسـرـ حـقـيقـيـاـ ..ـ

أـخـذـتـ حـدـدـ الصـوـتـ تـشـتـدـ وـتـعـلـوـ كـلـمـاـ اـقـرـبـوـاـ مـنـ الـجـانـبـ الـأـخـرـ  
لـلـحـاجـزـ الـحـدـيـدـيـ .ـ كـانـ الـمـكـانـ أـشـبـهـ بـغـابـةـ صـنـاعـيـةـ .ـ تـحـوطـهـاـ  
أـشـجـارـ الـجـازـورـيـنـاـ الـعـالـيـةـ وـالـكـثـيـفـةـ .ـ وـعـنـدـ أـطـرـافـهـ مـدـتـ عـائـشـةـ  
رـأـسـهـاـ كـأـنـهـاـ تـسـتـطـلـعـ تـلـكـ النـسـورـ الـتـىـ أـخـذـتـ تـطـلـقـ أـصـوـاتـهـاـ  
الـعـالـيـةـ كـأـنـهـاـ تـسـتـعـدـ لـاـسـتـقـبـالـهـمـ .ـ هـتـفـتـ :ـ

ـ إـنـهـ نـسـورـ حـقـيقـيـةـ ..ـ اـنـظـرـوـاـ ..ـ

لـمـ تـكـنـ فـيـ حـاجـةـ أـنـ تـرـدـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ الـأـخـيـرـةـ .ـ فـقـدـ دـسـ كـلـ  
مـنـهـمـ رـأـسـهـ فـيـ فـتـحـاتـ أـشـجـارـ الـجـازـورـيـنـاـ ،ـ وـشـاهـدـوـاـ رـتـلـاـ مـنـ  
الـنـسـورـ الـمـتـلـاـصـقـةـ جـنـبـاـ إـلـىـ جـنـبـاـ كـأـنـهـاـ تـصـنـعـ حـاجـزـاـ ضـخـماـ مـنـ أـبـنـاءـ

جنسها . بدا بعضها غارقا في نوم ، والبعض الآخر يطلق صيحات غريبة كأنه يستقبل هؤلاء الوافدين الجدد بما يليق بهم .

قال ماجد وهو يرمي بعينيه عدة مرات :

- يبدو أنها من فصيلة المارد النائم ..

رد العجوز : لا . بل هي لم تنم أبداً .. ولا تعرف سوى اليقظة .

( ٤٢ )

بدا المنظر مثيرا للدهشة والاستغراب . فهذه النسور تبدو كأنها راقدة فوق تلال من البيض . وأنها لم تتحرك من مكانها منذ أمد طويل ، ولذا تبعت منها تلك الروائح الكريهة . تفتق ماجد :

- يا إلهي . ترى كيف سنعبر هذا المكان ؟

كان من الصعب فعلا على أي إنسان أن يجد مكانا واحدا لقدميه . وبدا كأن هذه الطيور الجارحة قد اختارت الإقامة المريرة في هذا الركن من الجسر ، فاستكانت ووجدت لنفسها أحسن إقامة ، التفتت عائشة ذات اليمين ذات اليسار ، وقالت :

- من المستحيل أن نعبر الجسر من هذا المكان .

رد العجوز : لا يوجد مستحيل .. بل هناك أمل .

وأحسست كأن ذكاءها قد خانها ، فهى لا تكتب أبداً أن تشعر باليأس ، لكن أى شخص في الدنيا لا بد أن يحس أنه لاخرج فقط إلى الجانب الآخر من الجسر وسط هذه التلال المتراكمة من النسور الضخمة .. هنا قال سمير :

- ليس أمامنا سوى أن نجعلها تطير ..

زم العجوز شفتيه وهز رأسه ، وقال :

- إنها في حاجة إلى مدفع ضخم يزعجها فيدفعها إلى الطيران .

لكن ، فجأة هتف مصطفى :

- يبدو أنها لن تطير أبداً . انظروا ..

في تلك اللحظة فرد أحد النسور جسمه عالياً وكأنه يحاول الخروج من حالة الكسل الأبدي التي أصابت بنى عشيرته ، ثم راح يفرد جناحية في الهواء . جناحية لا .. لم يكن له سوى جناح واحد ضخم وقوى . أخذ يرفرف به كأنه يصنع الهواء لنفسه صرخ الرفاق معاً :

- إن له جناحاً واحداً ..

وذهب المنظر كأن صاعقة حطت عليهم . فهذا هو أول نسر

فـ التـارـيخ يـكـون لـه جـناـح وـاحـد . صـحـيح أـنـه نـسـر ضـخم ، وـجـناـحـه بـالـغـ القـوـة ، لـكـنـه مـسـكـين . لـا يـمـكـن أـن يـطـير حـتـى وـلـو أـطـلـقـوا عـلـيـه عـشـرـات الـطـلـقـات مـنـ المـدـافـع .

( ٤٣ )

لـم يـكـن هـذـا النـسـر الضـخم هوـ الـوحـيد صـاحـبـ الجـناـحـ الـواـحـد . بل بـدـت جـمـيعـ النـسـورـ مـثـلـه ، رـاحـ بـعـضـ النـسـورـ يـتـحـركـ فـيـ تـشـاقـلـ ، وـأـغـمـضـ الـبـعـضـ الـآـخـرـ عـيـونـه وـكـانـه غـارـقـ فـيـ نـوـمـ عـمـيقـ . كـانـ مـنـظـرـهـا أـشـبـهـ بـشـخـصـ ضـاعـتـ مـنـهـ كـفـاءـتـهـ وـافـتـقـدـ طـمـوـحـهـ فـلـمـ يـهـمـهـ أـنـ يـتـحـركـ قـيـدـ أـنـمـلـةـ مـنـ مـكـانـهـ . إـنـهـ النـسـورـ الـتـىـ حـاـوـلـتـ يـوـمـاـ أـنـ تـسـدـ عـيـنـ الشـمـسـ ، فـاحـترـقـتـ اـجـنـحـتـهاـ وـسـقـطـتـ فـوـقـ أـرـضـ الـجـسـرـ عـقـابـاـ لـهـاـ عـلـىـ مـاـفـعـلـتـهـ . وـأـصـبـحـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـعـيـشـ لـلـأـبـدـ فـاقـدـةـ جـناـحـهـاـ الشـانـىـ ، وـكـانـ لـعـنـةـ أـصـابـتـهـ ، فـلاـ هـىـ بـالـنـسـورـ الـتـىـ يـمـكـنـهـاـ أـنـ تـحـلـقـ فـيـ السـمـاءـ . وـلـاـ هـىـ بـالـطـيـورـ الـتـىـ يـمـكـنـهـاـ أـنـ تـعـيـشـ بـقـيـةـ حـيـاتـهـاـ فـوـقـ الـأـرـضـ . أـوـ بـالـأـخـرـ فـوـقـ هـذـاـ الـمـكـانـ مـنـ «ـجـسـرـ الـأـهـوـالـ»ـ .

تـعـتـمـ العـجـوزـ : إـنـهـ مـشـكـلـةـ يـجـبـ أـنـ نـحـاـوـلـ حلـهـاـ .  
تـسـاءـلـ مـاجـدـ : هـلـ يـمـكـنـ أـنـ نـقـتـلـهـاـ ؟

وسرعان ما تدخل العجوز : لا .. كله إلا القتل .. أنا لا  
أحب الدماء ..

سؤال سمير : للضرورة أحكام !!

رد العجوز : ليست لدينا ضرورة .. بل يجب أن نفكر فيما  
يمكن أن نفعله ..

ثم سكت وبدا كأنه يستجتمع أفكاره قبل أن يتكلم . ثم قال :  
ـ هذه الطيور يجب أن تطير .. يجب أن نفكر لها في طريقة  
تدفعها للطيران ..  
تدخل ماجد :

ـ ليست معنا مدافع ..

هز العجوز رأسه غاضبا ، وقال : قلت لا داعي لمثل هذه  
الأساليب .

ثم تنهد من جديد ، وقال :  
ـ ترى ماذا يمكن لهذه النسور أن تفعل لو أحسست أن الجسر  
ينهار .

ردت عائشة : لعلها ستنهار معه ..

قال العجوز : أو لعلها تفعل شيئا آخر . أن تطير مثلا ..  
تدخل مصطفى : طبعا مستحيل .. لكن لو انهار الجسر ،  
فسوف تنهار معه .. وسنهاك جيعا . أليس كذلك ؟

( ٤٤ )

بدا العجوز كأنه ينطق كلاماً غير مفهوم . فهل يمكن للجسر فعلاً أن ينهار . وهل يمكن التخلص من هذه النسور وجعلها تطير في السماء مرة أخرى ؟ كانت الإجابة صعبة . . إلا أن العجوز قال :

- هذا الجسر غريب ، فهو في بدايته قائم على أعمدة حديدية قوية . تجعله يعيش ملايين السنين ، لكنه في نهايته يستند على أعمدة خشبية كأنه معلق في الهواء ومربوط بأحبال متينة . .  
بدا الرفاق وكان سهلاً أصواتهم بدهشة لم يستطيعوا الخروج منها ، فرغم المعلومات التي يتحدث عنها العجوز كأنها حقيقة فإنه لم يضع حللاً للمشكلة التي وجدوا أنفسهم أمامها . وهى كيف يمكن فتح طريق يعبرون منه إلى الجانب الآخر من الجسر وسط أكواام من النسور ذوات الروائح الغربية . . تدخل العجوز قائلاً :

- ليست المشكلة أن نعبر وسط أكواام النسور . ولكن يجب أن نبذر العزيمة في قلوب هذه الطيور المسكينة . .  
ثم سكت ، وبداً كأنه يتأمل المشهد حوله قبل أن يكمل :  
- علها أن تطير .

كان يحس أن عليه أن يزرع الخوف فجأة في قلوب هذه النسور  
وهي التي نسبت هذا الخوف منذ أمد طويل . لذا قال :  
— الآن .. يجب أن أترككم . سأعود مرة أخرى إلى المنطقة  
الفاصلة .

اهتزت القلوب . فهل سيتركهم العجوز وحدهم ، ويعود إلى  
المكان الذي يفصل بين منطقة « الخداع البصري » والسور  
الحديدي الذي يعيش النسور خلفه ؟ قالت عائشة :  
— هل ستذهب .. ؟

رد العجوز : يجب أن أقطع حبل الجسر السري . إنه الجبل  
الذي إذا انقطع سقط الجسر كله ..

صرخت عائشة : ونحن ، سنسقط ونموت ؟  
بكل هدوء وحكمة قال العجوز :

— من الشرف أن يموت المرء من أجل أن يعيش الآخرون ..  
لم يجد في كلماته أبدا أنه يمزح ، أو أنه يبالغ ، بل بدا عازماً أن  
يعود إلى المنطقة المعزولة .. منها حاولوا إثناءه عن عزمه ..

( ٤٥ )

وكان عليه أن يتركهم في مكانهم يواجهون مصيرهم . فهو

يعرف جيداً أن تلك هي أكثر المناطق أمناً فوق جسر الأهواز فالنسور لن تفكّر قط في أن تهاجمهم ، وليس بمقدورها أن تفعل ذلك . ولكن الخطر الحقيقى سوف يكمن حين يبدأ الجسر في الانهيار .

كان عليه أن يفعل ذلك ، وكما بدا أمام الرفاق ، فإن على المرء أن يضحي بنفسه من أجل أن يعيش الآخرون ، فليس هناك وسيلة أخرى لعبور منطقة النسور ذات الجناح الواحد إلا بانهيار الجسر كله .

وعاد العجوز إلى المنطقة المعزولة ..

وقف أمام جانب الجسر ، ينظر إلى الأفق حوله ، بدا الجسر كأنه مقام فوق هوة سحرية تفصل بين جبلين عاليين ، وتبعد المسافة كأنها مئات الآلاف من الأميال .

فرد صدره فجأة كأنه سيواجه قوى عاتية جباره . ثم صاح بصوت نابع من أعماقه :

- يا واهب القوة .. يا صاحب العدل .. ساعدنى أن أكسب رضاك ..

وبينما هو يتكلم انسلخ من داخل العجوز رجل قوى البدن عملاق في طوله ، ورشيق في حركاته ، سرعان ما قفز فوق الجسر

العالى . وراح يتطلع إلى الفراغ من أسفله . انحنى والتقط حجراً ضخماً ثم رماه بعيداً .. سمع الحجر يدور كأنه داخل دوامة ، أو كأنه يصرخ في الفراغ السحيق الذى يذهب إليه بلا عودة .  
كان عليه أن يعرف إلى أين هو ذاذهب . فامسك بحبل صغير بين يديه . راح يربطه حول وسطه ثم أخذ ينظر إلى يديه ويدقق فيها .

فجأة تغيرت يداه وأصبحتا غريبتى الشكل ، كأنهما مصنوعتان من حديد ثم استبعد لأن يرمى بنفسه في الفضاء . وسرعان ما فعل . لم يصرخ ، ولم يطلق آلة واحدة مثلاً فعل الحجر الذى ألقاه .. بل وجد نفسه معلقاً في أسفل الجسر . وقد اشتبك الحبل الذى ربطه حول وسطه بسور الجسر ، ثم أخذ يفك الحبل من وسطه ، ويستعد لمغامرة جديدة ..  
بدا وكأن زلزاً مدمراً أصاب المكان ..  
أطلق الرفاق الصرخات وحاولوا أن يتکاتفوا . أمسك كل منهم بيد الآخر بينما صاحوا في صوت واحد :  
- الجسر ينهار ..

وتذكروا كلمات العجوز ، أن يتحدوا ، ففى الاتحاد قوة خاصة في إثبات الأزمات ، لكن أى اتحاد هنا ، فالجسر ينهار بالفعل ،

وها هو سوف يسقط خلال ثوان إلى أسفل الهوة التي لا قرار لها  
بالملاة .

فجأة صاح سمير :

- انظروا .. الطيور تتحرك ١١

ووسط هذا الخضم المايل من الارتباك والرجمة التي أصابتهم  
جميعا ، راح الجسر يهتز وهو يكاد أن يلفظهم في الفراغ ، رأوا  
المشهد العجيب ، فقد حاولت النسور أن تهرب لكن إلى أين  
بالطريق ملئ بالأخطار ، وكافة الحلول مليئة بالمرارة خاصة أن قوة  
الطرد المركزية التي يهتز بها الجسر قد رمت ببعض النسور في الفراغ  
السحيق فذهبت إلى حيث لاعوده ..

حاول بعض الطيور أن تخلق ، لكنها مسكونة لم يكن لها سوى  
جناح واحد ولا يمكنها أن تطير به . فقدت الطيور توازنها وسقطت  
بمجموعة جديدة في الفراغ .

هنا صرخت عائشة :

- امسكوا ببعضكم البعض ..

بدت كأنها تتحدث إلى النسور . التي سرعان ما أدركت الخطر  
الملايل حولها غريزيا ، وكان عليها إما أن تهلك في الهوة السحيقة أو  
أن تفك وتصرف ، لذا سرعان ما تكاثفت النسور وراح كل نسرين

يتحدان معاً وكأنهما يمتنجان في جسد واحد له جناحان وراحا  
يرفان سوياً .

صرخ سمير : انظروا .. النسور تتصرف !!

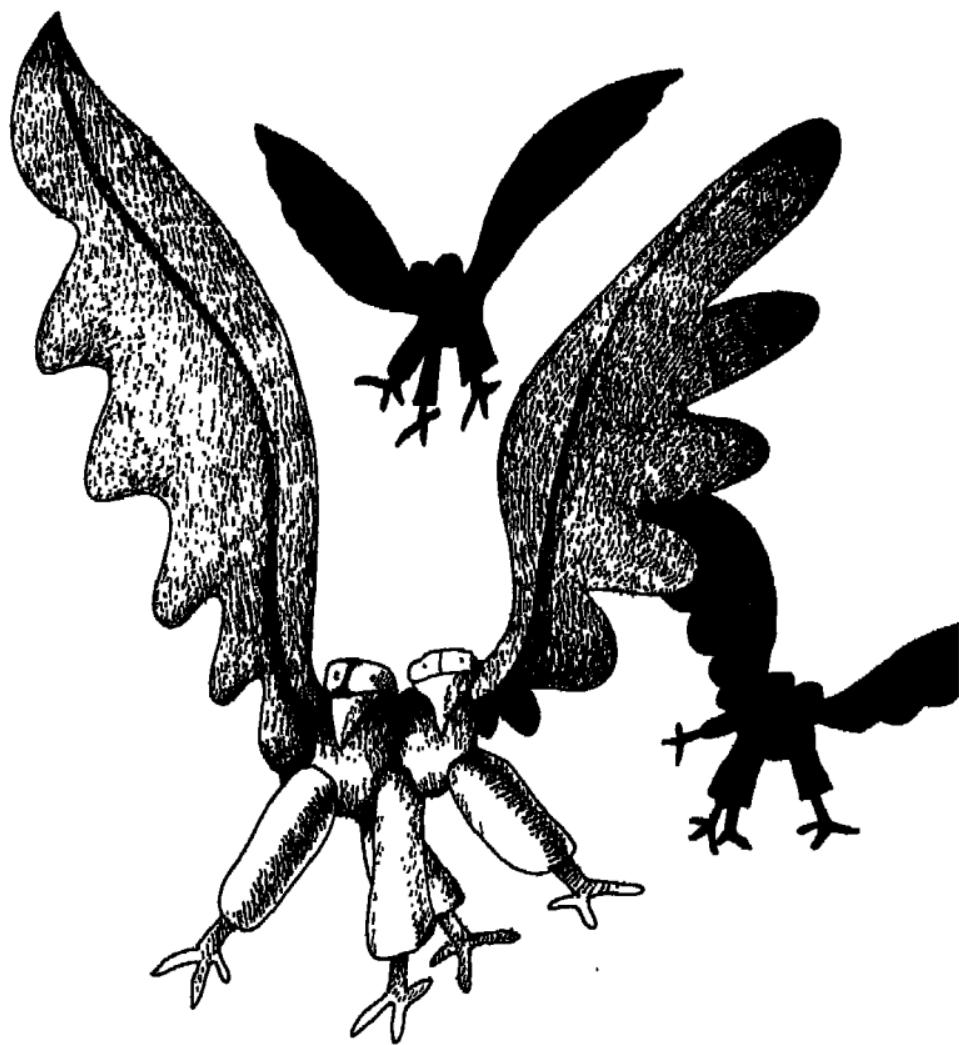
وبيتها الجسر يهتز لأنخر مرة تقريباً ، قال مصطفى :  
ـ لكننا لسنا نسوراً .. ولا أجنحة لنا ..

ويبدأ الجسر في الانهيار . وراح يتتساقط مع كل الذين لم يتمكنوا  
من التفكير والتصرف .

كان هذا مشهداً مهياً حقا !!

فها هي النسور التي استشعرت الخطر تخلق في الجو بعد أن  
تكاتفت واستعان كل منها بجناح زميله كي يطير في الأفق .  
ومن أعلى السماء رأت النسور بعيونها القوية جسر الأهوال ينهار  
 تماماً ويسقط في الأغوار السعجية والتي لا يعود منها من سقط  
إليها .

وامتلأت السماء بالنسور الطائرة ، بدت القوة كأنها قد دبت  
فيها فجأة ، بعد أن استشعرت قيمة الحياة وحاولت أن تتغلب على  
الخوف ، ولذا تعاونت ، بل وراح بعضها يلتقط هؤلاء الشباب  
الذين أسرعوا بالقفز بين مخالبها ، انطلقوا يطيرون في اللحظات  
 الأخيرة .



إنهم هناك الآن في السماء معلقين بين مخالب النسور ، كان عليهم أن يتصرفوا في اللحظات الأخيرة ، والا هلكوا جميعا .. وتجمعت النسور في الجو تتحرك ناحية الشرق كأن الرياح تدفع بها إلى مكان ما بعيته ، صاحت عائشة وهى تتأمل هذا المشهد الذى ليس له مثيل :

- يا إلهى . كأنه كابوس جميل !!

بدت كأنها تتكلس إلى نفسها . فلم يسمعها أحد من حولها . حيث أن المسافة بينها وبين أقرب زملائها إليها كانت بعيدة للغاية . إنها واثقة تماماً أن الجميع كتبوا لها النجاة . ولكن لا تعرف أى مصير يتظار لهم . ولا ماداً يمكن أن يحدث لو فكرت النسور من جديد أن تسد عين الشمس ، مثلما فعلت يوماً ما فتذوب أجسادها من جديد وتهلك ويسقط معهم الرفاق الأربعة ، ويهلكون جميعاً إلى الأبد ..

لم يسأل أحد من الزملاء عن مصير زميله ، فلاشك أن مهابة الموقف جعلت كلاً منهم مشغولاً بما عاشه من تجربة مثيرة ، وبما يتظاره من مصير غامض وهو معلقون هكذا بين النسور ويمكنهم أن يسقطوا في أى لحظة ..

وتحرك سرب النسور إلى مجھول حاملاً معه الرفاق الأربعة ..

لكن ، ترى أين « الفارس النادر » الآن . . . وماذا حدث له ؟  
 كان على « الفارس النادر » أن يقوم بالمهمة على أفضل ما يكون .  
 وأن يجعل الجسر ينهار حتى تتعلم النسور الوحيدة الأجنحة كيف  
 تصرف عند اللزوم ، وأن تهرب وقت الخطر وتعاود الطيران . . .  
 لقد نجح في أن يصل إلى الجانب الآخر من الجسر حتى الجزء  
 المعلق منه ، وذلك بواسطة يده المخلبية ذات القوى المغناطيسية  
 فاستطاع بذلك أن يتقلّب بكل سهولة أسفل الجسر . كان فقط  
 عليه أن يسْعَ كى يصل في وقت مناسب ، فقد أحس بالقلق ،  
 يعرف أن رجال الجياد الزرقاء قد يصلون بين لحظة وأخرى إلى  
 « مقبرة الرغبات » . فهو يعرف أن الزمن شبه معدوم فوق الجسر  
 الذى ييدو كل شىء فيه ساكنًا من كائنات وهمية ملارد نائم ، ونسور  
 وحيدة الأجنحة ، ولذا قرر أن يدمر الجسر منها كان الثمن .  
 ييدو أنه لم يفكّر طويلاً في العواقب . بل كان كل همه أن يصل  
 إلى الحبل السرى الذى يربط نهاية الجسر ، وأن يخرج سيفه الخارق  
 كى يقطعه فينهار الجسر ، وهنا ستنتهي حالة الخمول الدائمة التى  
 شهدتها المكان منذ زمن طويل حين اقترب من نهاية الجسر في  
 منطقته المعلقة ، ردّد وهو يرفع سيفه القوى :

- على المرء أن يكون طموحا .. أو يموت ..  
كان يعني بذلك أن على الجميع أن يتصرفوا وقت الشدة ، وإن  
هذا سيكشف رغبتهم في البقاء أحياء . فإن الذي سوف يستسلم  
لأنهيار الجسر سوف يدفع حياته ، أما الذي سيقاوم وسيتصرف  
فإنه سوف يستحق نسمات الحياة التي يتنفسها الأحياء في كل  
لحظة ..

وبكل قوته ، رفع سيفه والذى تحول نصله الحاد إلى شفرة رقيقة  
للغاية بالغة الحدة والقوية ، وانهال نحو الحبل الذى سرعان ما  
انقطع كان موسى حادا قد مر على خيط رفيع مشدود فيتره .  
وفجأة هوى الجسد في الجو ، وباسرع مما يتصور وجد نفسه  
يطير في الهواء مع الطرف الذى يسقط نحو الأغوار السحرية  
البعيدة .

ها هو الآن يطير مع النسور الملتصقة التى توحدت أجسامها  
فأصبح لكل نسر ذى جناح واحد جناحان يرفرفان نحو السماء ثم  
ينخفضان مرة أخرى . بدا المشهد مهيباً ، فها هى النسور تطير مرة  
أخرى وتعرف معنى الإرادة والرغبة في أن تكون طيورا عملاقة  
بالفعل .

وهبت عاصفة قوية ، كادت أن تطيح بالرفاق الذين تعلقوا في

مخالب النسور . كانت العاصفة نتاج تلك الرفقات القوية التي تحدثها النسور في الجحور ، فرحة بما عادت إليه تطلق أصوات الفرح وكأنها تغنى أنشودتها الخاصة بالنجاح .. وسمع الرفاق أغنية متناسقة كأنها إحدى السمفونيات الموسيقية الكبرى فراحوا يغدون كل أسفل النسر الذي يتعلق به .. أحسست النسور أن هناك شيئاً ما مع هؤلاء البشر الذين يتعلقون بمخالبهم خاصة وهم يرددون اللحن معهم ، فراح النسور ترتفع ثم تهبط وتعود لترتفع مرة أخرى .

يا إلهي ! ياله من مشهد رائع !! إنها أغنية تردد أعلى السحاب وكأنها عرض فني رائع لفرقة غنائية مدرية ، أو كأنهم مجموعة نسور . بل هم فعلاً الآن مجموعة نسور .. أحسوا أنهم لو عادوا إلى الأرض فسوف يفقدون أجذحتهم مرة أخرى ، وأنهم لو ارتفعوا أكثر فسوف تذوب الأجنحة من قوة أشعة الشمس .. لذا راحوا ينزلون مرة أخرى قريباً من الغابة التي بدت تظهر في الأفق بعد أن عبروا منطقة الهوة السحرية التي اختفى فيها كل من حاول أجتيازها .

فجأة صاح «الفارس النادر» وهو يشير لسمير الذي كان قريباً إلى حد ما منه ..

ـ انظر إنهم رجال «الجيادالزرقاء» ..

كان على سمير أن ينظر إلى أسفل ، ناحية الغابة ، وأن يشاهد مجموعة الفرسان ينطلقون فوق جيادهم الزرقاء ويضعون فوق أحد الخيول صندوقا ، لم تبد ملامحه جيدا من أعلى ..

صاحب سمير : علينا أن ننزل حالا ..  
ثم تساءل : لكن . كيف ؟

( ٤٧ ) ..

يا إلهي .. شئ ما يحدث هنا ، ومع هذه النسور !!  
راحت النسور تتحرك في فوج واحد ناحية الغابة ، وأخذت تقترب من مجموعة الفرسان الذين يركبون الجيادالزرقاء . بدت كأنها تعرف طريقها جيدا ، وأن شيئا ما يحركها تقتفي مجموعة الرجال الذين سرعان ماتنبهوا إلى وجود النسور .

فجأة ، وفوق سطح الأرض ، أشار قائد الفرسان الزرقاء إلى رجاله أن ينطلقوا أكثر بجيادهم وصاح :  
ـ أيها الرجال .. المقربة على مسافة أمتار قليلة .. وهى في انتظار الصندوق ..

وأسع الرجال خلف قائدتهم ، يدفعون جيادهم كى تنطلق إلى

تلك البشر العميقه التي تقع بين شجرين غربيتي الشكل ، من أجل أن يلقو بالصندوق في أعماق البئر كى يختفى هناك إلى الأبد ، وتفقد مدينة « التفاحة البنفسجية » الأمل في أن يعود إليها الطموح للأبد .

لم يكن « الفارس النادر » في حاجة أن يجعل النسور تسرع نحو هؤلاء الرجال الذين يمهدون أن تندفع جيادهم الزرقاء للانطلاق نحو البئر . حيث « مقبرة الرغبات » .

اندفعت النسور بكل قوة نحو هدفها ، كأنها تعرف طريقها جيدا ، وكأنها سوف تلتهم هؤلاء الرجال وجيادهم ، واقتربت أكثر من الأرض ، وفجأة قفز الفارس من مكانه نحو الأرض وراح يسد الطريق على الرجال الذين يندفعون .

أصاب المكان حالة من الهرج والمرج الشديدين ، عندما بدأت النسور تلتقط الرجال بمخالبها . وراح نسور آخر تبارز بعض هؤلاء الرجال بمناقيرها الحادة الطويلة . بينما وجد الرفاق الأربعه أنفسهم في مواجهة الحصان الذى يحمل الصندوق .. صاح مصطفى :

– أسرعوا .. حاولوا أن توقفوه !!

بدأ الحصان جامحا يريد أن ينطلق بعيدا وكان أحداً لا يمكن أن يوقفه . ووجد الرفاق الأربعه أنفسهم في موقف شديد الهرج

فلاشك أن الحصان لو ركل أحدهم بقدمه لدفعه إلى أعلى ولقضى عليه في الحال ..

( ٤٨ )

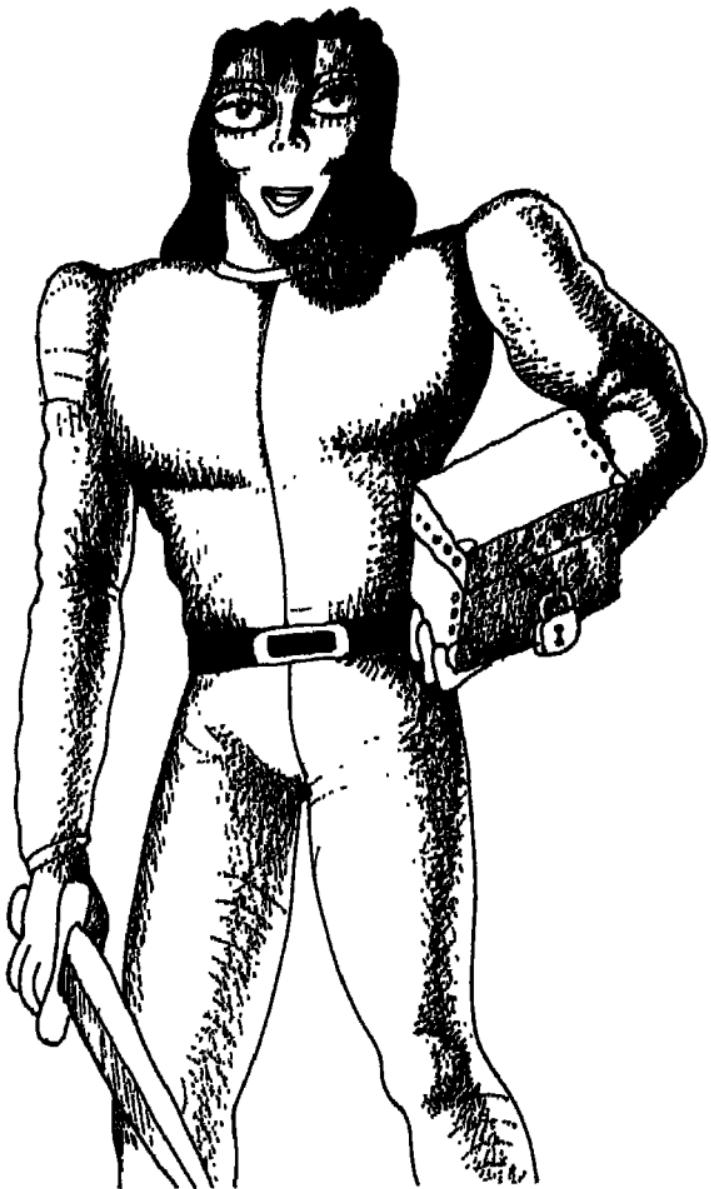
وجد « الفارس النادر » نفسه أمام القائد يشهر السلاح بنفسه .  
وقف يتأمله وقد أصابته الدهشة . وهتف :  
ـ أنت !!

رد القائد :

ـ أجل أنا .. لقد جئت من أجلك خصيصا .. الآن حانت  
نهايتك ..

لم يكن القائد سوى « الشبح الأزرق » ، لقد قرر أن يحيط بنفسه  
كى يجاهه أى خطأ محتملة ، وخاصة عندما شاهد على شاشته  
الخاصة الجسر ينهاه إلى الأبد ، إنه يبدو مهيبا قويا متلقا خلف  
حالات ، ولا يظهر منه شيء سوى تلك العباءة الزرقاء .. وسيقه  
الطويل ، صاح :

ـ أعرف أنك تميل إلى استخدام السيف .. وسوف أقاتلك ..  
وبكل سرعة وقوه هو يسيقه على « الفارس النادر » ، وكاد أن  
يشطره نصفين لولا أن قفز هذا الأخير بعيدا ، فانشطرت الأرض  
وبكل مهارة نجح « الشبح الأزرق » في إخراج السيف من الأرض



ثم اندفع يهاجم خصميه .

ابتسم «الفارس النادر» ، وقال :

ـ واحد منا يجب أن يبقى ..

رد «الشبح الأزرق» وهو يضرب بسيفه مرة أخرى في الهواء  
وكانه سيفصل رقبة خصميه عن جسمه :

ـ طبعا .. أنا .. زعيم «المدينة الزرقاء» ..

أطلق السيف صوتا كأنه الصراخ ، واندفع ليشطر الشجرة  
القريبة . فقد كان سيفا غريبا يمكنه أن يطول ويقصر في لمح  
البصر . سرعان ما سقطت الشجرة ، وكان على «الفارس النادر»  
أن يقفز مرة أخرى ليس فقط ليتلافق ضربة السيف ، بل أيضا  
ليبتعد عن الشجرة التي سقطت فيها بينها ..

قفز «الشبح الأزرق» من فوق جذع الشجرة . ثم وجه سيفه  
نحو خصميه ، ويسرعة انطلق من نصله سهم قوى ، اندفع نحو  
صدر «الفارس النادر» الذي سرعان ما واجه سيفه إلى السهم  
المنطلق فنبع في أن يصده ، ويجعله يسقط فوق الأرض .

(٤٩)

أحس «الفارس النادر» أن عليه أن يتحول من حالة الدفاع  
عن النفس أمام هذا الشبح الأزرق الواقع كثيرا في نفسه إلى الهجوم

وسرعان ما تعدد نصل سيفه الأمامي ، فأصبح عريضاً كأنه سطح  
أملس لامع . ثم ، وبكل قوة ، اندفع نحو خصمه وهو يعرف  
كيف ستكون الضربة . ثم هوى على سيفه .

وفي لحظات طار السيف في الجو ، وارتفع دون أن يقع ، لم  
يُسمع له صوت وهو يسقط ، ولا يعرف أحد هل ارتفع فعلاً إلى  
مالا نهاية من قوة الضربة ، أم إنه سقط في مقبرة الرغبات ؟

وقف «الشبح الأزرق» يلهث وهو يستعد لمواجهة مصيره .  
بينما أمسك «الفارس النادر» بسيفه ، وراح يفكر فيما عليه أن  
يفعله صحيح أنه خصم لدود ، بل هو مصدر الشر في العالم  
والعدو الأكبر لمدينة الحكايات ومواطينها ، لكنه لم يسبق أن قتل  
شخصاً من قبل . فهو لا يحب الدم ولا يسعى لقتل شخص منها  
كان .

فجأة تذكر أن خصميه ليساً آدمياً ، وليس كائناً حياً ، بل هو  
 مجرد شبح يتلفع بهذه العباءة الزرقاء ، وأحسن أنه من الواجب أن  
 يتخلص منه . ولم يعد لديه وقت ليفكر فاندفع بسيفه كى يغرسه  
 فيه ..

لكن فجأة ، اندفع الجواد الأخضر بكل قوة يحاول أن يفصل  
 بين الرجلين ، وأسرع «الفارس النادر» يتفاداه ثم وبكل مهارة وقوة  
 أسرع يضرب الحبل المتين الذي يربط الصندوق فأسقطه فيوقي

الأرض .

أسع « الفارس النادر » نحو الصندوق كى يلتقطه ، بينما انتهز « الشبح الأزرق » تلك الفرصة كى يقفز فوق الجواد الأخضر ويلوذ فرارا من المكان ، وقد أدرك أن ساحة المواجهة لم تعد ملكا له بالمرة ..

هتف ، وهو يتعد : سوف نلتقي في مغامرة جديدة .. أياها « الفارس النادر » ..

ثم جاء صوته من بعيد قبل أن يختفى :  
ـ سأدبرك مكائد أشد ..  
واختفى خلف الأفق ..

( ٥٠ )

في تلك اللحظات وصل الرفاق الأربع وهم يحملون سيفهم ويلهثون ، رأوا العجوز يمسك بالصندوق بين يديه ، وكأنه غير قادر أن يحمله ، قالت عائشة :  
ـ لقد حاولنا ..

ـ رد ماجد : على أن أسعى . وليس على إدراك النجاح ..  
ابتسם العجوز ، وقال وهو ينظر إلى ساعته الكبيرة التي يعلقها في صدره :

- أعتقد أن الأوان قد حان لنعود .. فقد اقترب موعد المباراة .

تساءل مصطفى :

- لكن كيف سنعود ؟ لقد انهار الجسر ..

ابتسم العجوز ومط شفتيه ثم نظر إلى السماء حيث لاتزال النسور تحلق وتمتم :

- لنا أصدقاء يطيرون بسرعة .. ويريدون أن يطيروا بلا توقف من أجل أن نصل في موعدنا .

وارتفعت العيون إلى السماء ، حيث راحت بعض النسور تستعد للهبوط كى تقوم بمهمة أخرى أحسست أن من الواجب عليها أن تؤديها ، وبكل سرعة . فلم يبق سوى بضع ساعات على موعد المباراة الخامسة .. وعلى فريق مدينة « التفاحة البنفسجية » أن يتلقى التدريب المناسب .

رقم الاليداع: ١٩٩٦/٧٨٩١  
I.S.B.N. 977 - 09 - 0342 - 6

### مطابع الشروق

القاهرة: ٨ شارع سبيوه المصري - ت: ٤٠٢٣٣٩٩ - لاس: ٧٥٦٧  
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧١١٣ - لاس: ٦٥



## خيال × خيال

## اقرأ في هذه السلسلة